# البرتقالة في الزجاجة

د. مصطفى عطية جمعة

# البرتقالة في الزجاجة

❖ اسم العمل: البرتقالة في الزجاجة (مجموعة قصصية للفتيان)
❖ الكاتب: د. مصطفى عطية جمعة
❖ إخراج داخلي: سليل الفراعنــة
❖ رقم الإيداع: 16053 / 2023
❖ الترقيم الدولي: 978-977-86834-1-7

(جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي انتهاك سيعرض صاحبه للمساءلة القانونية
هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط، ولا يجوز إعادة طبعها أو نسخها أو نشرها إلا
بعد الحصول على إذن كتابي من الناشر)

متون المثقف
للنشر والتوزيع

خالد عدلي
00201002688188
info.mothakf@gmail.com

(مجموعة قصصية للفتيان)

# البرتقالة في الزجاجة

د. مصطفى عطية جمعة

متون المثقف
للنشر والتوزيع

# حفنةُ قمحٍ

حينما كان الشيخ " أيوب " جالسا بين طلابه ومريديه، يعطيهم دروسه الدينية المعتادة في المسجد؛ اقتحمت مجلسه امرأةٌ عالٍ صوتُها بين نحيب وبكاء، فانتبه كلُّ من في المجلس، وعقدَ الصمت ألسنتهم، وهم يتطلعون إلى وجه المرأة المتوهج بالاحمرار، وعينيها المنتفختين بفعل حزنها الشديد، وضربات يديها المتتابعة على وجهها وصدرها.

تطلع لها الشيخ مشفقا، وهي تدنو منه، وتقول بصوت مختنق:

- يا شيخ..، أريد منك شيئا واحدا.

افترّ ثغر الشيخ عن ابتسامة أضاءت وجهه النوراني، ثم قال بحنان:

- من أنت يا أختي؟ وما حاجتك ؟ أدعو الله أن يقضيها وييسرها.

جثتِ المرأة على ركبتيها، وقد هدأت قليلاً بفعل كلمات الشيخ الرقيقة:

- اسمي فاطمة.. وقد مات ابني، وأريد منك أن ترجعه لي.. تعيده للحياة.

ثم أردفت بحزم:

- فإن لم تفعل فإنني سأقتل نفسي لألحق به في الآخرة.

تعالت همهمات الاستنكار والرفض من الحاضرين، وحاولوا جذب المرأة بعيدًا عن شيخهم، ولكن الشيخ منعهم بإشارة من يده، ونظر إليها مجددًا، وقال:

- حدثيني عن ابنك.

أخرجت المرأة جلبابا لطفلها الصغير، وراحت تتشممه، وهي تقول:

- ابني حبيبي، كل حياتي، جاءني بعد سنوات طويلة من الانتظار، إنه جميل مثل القمر، مات أبوه وترك له أموالا وخيرات، وجعلني وصية عليه، فاطمأن قلبي على مستقبله ولكنه...

وراحت تولول ثانية في وجه الشيخ، وهي تصرخ:

- لابد أن تعيد ابني للحياة مرة ثانية.

ابتسم الشيخ، وقال لها بثقة:

- هل تريدين أن يحيا ابنك ؟
- نعم.. نعم..
- هذه بسيطة وسهلة..
- كيف يا شيخ ؟ أريده بسرعة في أحضاني.

رفع الشيخ إصبعه، قائلا:

- اتفقنا، ولكن عليك أن تنفذي طلبي.
- سأنفذه الآن، حالا، كل ما عندي من مال سأقدمه لمن يعيد ابني لي.. أريد ابني، أريد حبيبي وأملي.

قال الشيخ بثقة:

- لا أريد مالا، فقط أريد حفنة قمح من بيت سعيد؛ لم يعرف أهلُه الشقاء أبدا، على أن تحضري أنتِ الحفنة بنفسك من أهل البيت.

نظرت إليه المرأة غير مصدقة، وسألتْه:

- .. ولكن هل سيعود ابني؛ لو أحضرت لك المطلوب ؟

أحنى الشيخ رأسه موافقًا، فقالت المرأة وهي تغادره:

- إذن، سيكون القمح عندك في أسرع وقت.

رفع الشيخ إصبعه السبابة مؤكِّدًا:

- تذكري الشرط جيدا !

أجابت المرأة وهي فرحة غير مصدقة: سأفعل.. أتذكره.. أتذكره.

ما إن غادرت المرأة المجلس حتى تتطلع الشيخ لمن حوله، وقد نظروا إليه في حالة من الذهول، وتمتم مبتسما:

- لا تتعجبوا.. ولا تتساءلوا، فقط انتظروا بعض الوقت، وستأتيكم الإجابة.

***

قررت السيدة " فاطمة " الطواف على بيوت بلدتها، والأمل يتخاتل في فؤادها، فما أيسر الطلب ! وما أعظم الثمرة !

طرقت باب أول بيت صادفها، والرجاء ينبجس من عينيها، ففتحت لها الباب امرأة متوسطة العمر، تتشح بالسواد، فقالت لها فاطمة:

- أريد حفنة قمح من عندك.

أجابتها السيدة:

- فقط حفنة ؟ سأحضر لك حفنات من القمح.

تذكرت فاطمة الشرط، فاحتارت كيف تستفسر منها، ثم استجمعت شجاعتها وسألتها:

- يا أختي، ممكن أسألك؟ هل بيتك سعيد ؟

ابتسمت السيدة، وقالت:

- إن زوجي توفي منذ أشهر، وتركني أعاني الترمل، وأرعى أولادي منه.

ثم أردفت: سأحضر لك ما طلبت من القمح.

استوقفتها فاطمة وهي تقول:

- تقبلي عزائي يا أختي، إنني أبحث عن بيت لا حزن فيه.

***

قصدت فاطمة بيتًا آخر، على بابه شجرة سرو كبيرة، وما إن اقتربت من باب البيت حتى وجدته مفتوحًا، و لمحتْ سيدة شابة تفترش سجادة الصلاة في ساحة الدار، فألقت السلام عليها، وسألتها عن حفنة قمح إن كانت تعيش في سعادة وحبور. فابتسمت الشابة بأسى وقالت:

- لقد مات ابني قبل أيام، وها أنا أدعو الله أن يلهمني الصبر.

تمتمت " فاطمة " بكلمات العزاء، وهي تقول: " أنتِ مثلي".
ثم انتقلت إلى البيت الذي يليه، لتجد إجابة مشابهة، فقد قالت ربة البيت إن أخاها مات قبل قليل. فهمست " فاطمة" في نفسها:

- يبدو أن الجميع يشاركني همّ الموت.

واصلت " فاطمة " طريقها، وطرقت باب بيت يبدو الفقر عليه، وهي تهمس: لعل أهله بسطاء سعداء في حياتهم، ففتحت لها الباب أمٌّ، تكتم دموعها، فاستفسرت منها "فاطمة " عن السبب، فأجابتها الأم وهي تشير لصغارها:

- أبنائي أيتام، ولا أجد عشاء لهم، وهم يبكون جوعا.

بكت فاطمة معها وهي ترى عيون الأطفال متعلقةً بها، وأسرعت بالانصراف، لتذهب إلى السوق وتلفّ على الحوانيت والباعة، واشترت طعامًا وفيرًا للأطفال، ثم طرقت عليهم الباب ثانية، ودخلت مسرعة، حيث بسطت ما حملته من أكياس، ثم جلست مع الأولاد على الأرض، وراحت تطعمهم مع أمهم، وهي تضاحكهم، حتى شبعوا، وقاموا يلعبون.
ناولت فاطمة الأم بعض المال، وقالت لها:

- أنا متكفلة بمؤونة بيتك، فلا تحملي همًا، وسآتيكم كل أيام لأطمئن عليكم.

ثم انصرفت ودعوات الأم تلاحقها.

كانت الشمس قد مالت للمغيب، فقررت فاطمة العودة لبيتها، وأن تؤجل بحثها إلى الغد، إلا أن استوقفتها فتاة جالسة على قارعة الطريق تبكي وتناشد فاطمة مساعدتها في شراء الدواء لأبيها المريض، فأخذتها فاطمة للصيدلية، واشترت لها الدواء، وزادت عليه بعض الطعام، وأوصلتها إلى بيتها.

في الأيام التالية، أكملت فاطمة طوافها على بيوت بلدتها، تحمل المزيد من المال، وهي تأمل أن تجد بيتا بلا آلام، ولكن هيهات، الناس تقابلها متصنعة الابتسامات، فالهمّوم لا تنتهي، وفي كل يوم هناك حزن جديد.

***

عادت فاطمة إلى الشيخ، وقالت له: لم أجد بيتا سعيدًا يا شيخ !

ابتسم الشيخ لها، وتساءل: وماذا فعلتِ معهم ؟

- لقد ساعدتهم على قدر طاقتي، ولكنهم يحتاجون الكثير، لقد آلمتني الدموع في المآقي، والأكف الممدودة، والنظرات المنكسرة.

عاد الشيخ للسؤال: وماذا أنتِ فاعلة إذن ؟

نظرت له " فاطمة "، وقالت: سأنشئ جمعية خيرية، لعلني أجعل البكاء ضحكا، والأكف عاملةً، والنظرات يملؤها الأمل. ثم استدارت لتنصرف، وهي تقول: لا وقت عندي.

فاستفسر الشيخ منها بهدوء: وماذا عن ابنك !؟ ابتسمت فاطمة لأول مرة، وهي تقول:

- إنه حيٌّ في الجنة. ثم رتلت بصوتها قوله تعالى: { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}

فدعا لها الشيخ بالخير، وشاركه في دعائه كُلُّ مَن في مجلسه من طلابه ومحبيه.

***

# الحصان والبئر

بينما كان المزارعون يعملون بجد في فلاحة أرضهم، ويتعهدون زرعهم بالرعاية والسقاية؛ انتبهوا إلى صوت يصرخ فيهم، ويستنجد بهم. كان صوت عم "إبراهيم "، فأسرعوا باحثين عن مصدر الصوت، ليجدوا " عم إبراهيم " واقفًا وسط حقله، رافعًا ذراعيه مستنجدا بهم. فركض بعضهم نحوه، حتى وصلوا لاهثين إليه؛ مستفسرين عن سبب صراخه، أشار " إبراهيم " إلى بئر في أرضه، وهو يبكي ويقول:

- ساعدوني يا أهل الخير.. أرجوكم ساعدوني.

نظر المزارعون إلى موضع إشارته، فشاهدوا حصانا أسود، ملقىً في قعر البئر، يصهل بصوت حزين، وينظر إلى أعلى في توسّل ورجاء.
ضرب الناس أكفهم، وهم يقولون لعمّ إبراهيم:

- أعانك الله يا عم إبراهيم، وعوّضك خيرا منه.
- الحصان يوشك على الموت.
- البئر عميقة، ولا يمكن للحصان أن يتحمل صدمة سقوطه فيها.

نظر إليهم متعجبا، وقال بغضب:

- إن حصاني له سنوات طويلة معي، وقد خدمني كثيرا في حقلي وبيتي، فلا يمكن أن أتركه ليموت في هذه البئر.

قال "إبراهيم" مقولته وقد ملأت الدموع عينيه، وهو يرنو إلى حصانه، الذي ارتفع صهيله على أمل أن ينجده هؤلاء المتجمعون عند فوهة البئر.
قال أحد الرجال: عجبا لك يا إبراهيم ! كيف نخرجه ؟ لو نزل أحدُنا إليه؛ ما استطاع الصعود ثانية. انظر إلى البئر، إنها عميقة.

وعلّق رجل آخر، وهو يتأمل الحصان في قعر البئر:

- البئر جافة يا إبراهيم، ولاشك أن الحصان سيموت من أثر سقوطه.

هتف عمّ إبراهيم:

- لابد أن نخرج الحصان.. إنه حي، اسمعوا صوته.

رد أحد الشباب الواقفين:

- كيف نخرجه ؟ مَن منّا لديه القدرة على النزول إلى البئر وشدّ الحصان ؟

وأكمل شاب آخر بجانبه:

- إنه يحتاج إلى حبال كثيرة، نربط بها الحصان، ونرفعه لأعلى.

ثم سكت الشاب وسأل بخبث إبراهيم:

- لماذا أنت متمسك به لهذا الحد يا عم إبراهيم ؟ اتركه..

أثار السؤال غضب عم إبراهيم، الذي نظر إلى الشاب بحدة، وقال:

- لقد خدمني كثيرا، ولا يمكنني الاستغناء عنه.

أوضح الشاب مراده وعيناه تلمعان بمكر:

- إن إخراج الحصان يحتاج إلى تكلفة عالية، من أين لك بالحبال والرجال الذين سيجذبون هذا الحصان لخارج البئر؟ إننا محتاجون إلى حبال غليظة لا تقل عن مئة متر، ويلزمنا حوالي عشرة رجال لشده إلى أعلى، ورجلين ينزلان إلى البئر، لربط الحصان بالحبال.

سأل رجل آخر إبراهيم:

- كم عمر هذا الحصان ؟

أجابه إبراهيم بأسى:

- ٢٥ سنة أو أكثر..

رد الرجل عليه:

- إذن، لا فائدة من الكلام، إنه حصان عجوز، فلا داعي لأن تكلّف نفسك عناء إخراجه.

بضيق رد عم إبراهيم عليه: هل تقصد أن نتركه ليموت مكانه ؟
أجابه الرجل برقة:

- هذا عمره. ماذا لو كان قد مات عندما سقط مباشرة في البئر!؟

ثم أردف الرجل دون أن ينتظر إجابة: إذًا، اعتبره ميّتا.
انهار إبراهيم واستند إلى شجرة كي يمنع نفسه من السقوط، وقد اسودّ وجهه كآبةً. في حين تدخل أحد الشباب في الحوار ناظرا إلى الحصان، مقترحًا:

- إذا تركناه في مكانه ومات؛ فإن جسده سيتحلل، وستخرج منه رائحة نتنة.
- وماذا سنفعل ؟

فكّر الشاب وقال:

- أرى أن نهيل التراب عليه، حتى نغطيه تماما، فلا يضرنا.

قال الرجال في صوت واحد:

- فكرة طيبة، هيا نفعل ذلك، وسنساعدك كلنا.

تدافع الجميع إلى العمل، حيث أخذوا من تراب الحقل، وراحوا يلقونه على الحصان في البئر، والحصان لا يكف عن الصهيل الحزين، في حين آثر إبراهيم الركون، وهو يغطي وجهه بكفيه.

التراب ينهال على الحصان الذي تألم من سقوط بعض الأحجار عليه، ولكن بمرور الوقت سكت عن الأنين، فقال الرجال:

- يبدو أنه قد مات..

انتبه إبراهيم إلى كلمة الموت، وقام من مكانه، ذاهبًا إلى البئر، آملًا أن يلقي نظرة أخيرة على حصانه، الذي كان رفيق حياته، وظل وفيا له، متحملًا مشاق العمل في الحقل.

أبعد إبراهيم الرجال الذين كانوا يعملون بدأب، كان الحزن يعتصر فؤاده، ولا يدري ماذا يمكن أن يفعله لحصانه الذي – دون شك سيلفظ أنفاسه الآن، وسيكون البئر مثواه الأخير.

عند حافة البئر، وقف إبراهيم، غير مصدق عينيه، لم يكن حصانه جاثما على الأرض، وإنما كان واقفا على قوائمه، فإذا انهال عليه التراب والطين كان يتلقاهما بظهره، ثم يهز جسده فيأتي التراب تحت أقدامه، فيرتفع قليلا إلى الأرض. صرخ إبراهيم فيهم..

- توقفوا.. توقفوا..

توقفت الفؤوس التي كانت تعبئ التراب في المقاطف، ثم تلقى في البئر، وتطلع الرجال إلى إبراهيم، الذي واصل صراخه:

- حصاني حي.. حصاني بخير.. ابتعدوا عنه..
- ماذا بك يا إبراهيم ؟
- انظروا.. إن حصاني أكثر ذكاء منا، لقد استطاع أن يقف على أقدامه، وأن يجعل ترابكم تحتها، بل ويعتليها..

نظر الرجال إلى الحصان، كان بالفعل واقفا، على أكوام التراب المتجمعة في البئر، والحيرة تستبد بهم. قال إبراهيم:

- إذا أردتم أن تساعدوني، فأرجوكم لا تضعوا حجارة أو طينا جافا في مقاطفكم لكيلا تؤذوا حصاني..

تساءل أحد الشباب:

- وماذا بعد يا عم إبراهيم ؟

أجابه إبراهيم، وقد أمسك بفأسه، وراح يجمع ترابا دون حجارة أو طوبا، ويضعها في أحد المقاطف، وقال:

- افعلوا مثلما أفعل، ترفّقوا بحصاني.

أحنى الرجال رؤوسهم بالموافقة، وراحوا يعملون بحماسة كبيرة، وهم يرون الحصان يرتفع إلى الأرض، رويدا رويدا، وهو يصهل فرحا، حتى إذا اقترب من الأرض، مدّ قائمتيه الأماميتين، ثم قفز خارج البئر.

لم يكن أمام إبراهيم إلا أن يعانق حصانه، ويقبل رأسه، في حين جثا الحصان عند ركبتي صاحبه، وأسرع أحد الشباب بإحضار طعام وماء للحصان، وأبى عم إبراهيم إلا أن يطعمه بنفسه، ويسقيه بكفّه.

***

انسحب الرجال بهدوء من حقل إبراهيم، وهم يتهامسون عن هذا الحصان، الذي كان أذكى من البشر، فقد فكروا في دفنه حيا، وهو فكّر بفطرته أن يستفيد مما يلقى عليه، موقنا أن صاحبه لن يتخلى عنه.

❊❊❊

# الصوت والصدى

طرقات على باب غرفة الوالد، ثم دخل ابنه " هيثم " وهو يهرش في شعر رأسه، فابتسم الوالد، وكأنه يقرأ أفكار ابنه الفتى، وقال له:

- خيرًا يا هيثم، ما المشكلة التي واجهتك؟

أجاب هيثم، وهو ينظر لأبيه مندهشًا:

- ولماذا تخيلتَ أنني في مشكلة يا أبي؟

ضحك الأب وهو يحتضن نجله ويقول:

- إنني أبوك، وأحفظ عاداتك وطباعك جيدا. لديك مشكلة، أليس كذلك ؟
- وكيف عرفت أنني في مشكلة يا أبي ؟

تفرس الأب في وجه ابنه وهو يقول:

- كما نقول في المثل الشعبي: " الرسالة نعرفها من عنوانها "، فالعنوان أمارة وعلامة، نفهم منها الرسالة..
- وما العنوان المكتوب على وجهي ؟
- عنوانك بسيط؛ عندما تهرش في شعرك، وتكون نظراتك حائرة، أعرف أنك مهموم بشيء.

قبّلَ هيثم والده وقال:

- صحيح يا أبي، عندي مشكلة مع صديقي " أدهم ".

رفع الوالد حاجبيه مستغربا:

- مشكلة مع صديقك أدهم ؟! أظن أنه أقرب صديق لك !

أحنى هيثم رأسه، وقال:

- صحيح هو أقرب أصدقائي، ولكننا اختلفنا.. وتخاصمنا.

بحزن، تساءل الوالد:

- لماذا اختلفتما يا هيثم ؟ لقد صرت بلا أصدقاء تقريبا.
- لست مخطئا في شيء.

بحنان همس الوالد:

- ولكنك كثير الخلاف والخصام مع أصدقائك، ودائما تردد هذه العبارة " لستُ مخطئا في شيء"، إذن لماذا تتخاصمون ؟ لا أصدق أنهم دائما مخطئون، وأنت المصيب، خصوصا أنهم أولاد مؤدبون.

أجاب هيثم بتحدٍ:

- أنا متأكد أنني غير مخطئ في شيء.

حملق الوالد في عيني ابنه وقال:

- إذن، احكِ لي عن سبب شجارك مع أدهم.

تهرّب هيثم من نظرات أبيه، ونظر في سقف الغرفة وقال:

- أعطاني " أدهم " قرصا مدمجًا عليه ألعاب كثيرة، وعندما أرجعت القرص له، اتصل بي وقال إن القرص خرب، ولا يعمل، وقال: إنه قرص أصلي، وثمنه غال. فلم يعجبني كلامه، فصحتُ به: أنا لم أخرّب القرص، ويجب أن تتكلم معي بشكل طيب، وأنت المهمل، والقرص خرب عندك وليس عندي.

بجدية، قال الوالد:

- هذا ما قلتَه يا هيثم ؟
- نعم يا أبي.
- ألم تصدر منك كلمات ضايقت صديقك ؟
- لقد حكيت لك كل ما حدث..

بذراعه الأيمن، أحاط الأب كتف ابنه وقال:

- أنا أعرف شخصيتك يا هيثم، عندما تغضب تصدر منك كلمات قد تضايق الآخرين منك..
- أنا يا أبي ؟!
- نعم.
- يا أبي، أي إنسان عندما يغضب قد يقول كلاما عنيفا..
- إذن، لقد اعترفت يا هيثم أنك قلت كلاما أغضب صديقك منك، وهذا سبب كل مشاكلك مع أصدقائك، الذين خاصموك.

طأطأ الابن رأسه، وقال:

- صحيح يا أبي، ولكن هذه طباعي، وعليهم أن يتحملوني لأنهم يعرفونني.

وقف الأب ناظرا لساعته ثم وضع كفه بكف ابنه وقال:

- هيا بنا.. نخرج..
- إلى أين يا أبي ؟
- سنخرج في جولة بالسيارة، فإنني مشتاق إلى الطبيعة، وسنذهب اليوم إلى مكان جديد عليك، لم تره من قبل.

صفّر هيثم بفمه وهو يقول:

- ما أروعك يا أبي!

***

انطلق الوالد بسيارته، إلى خارج المدينة، حيث سلك الطريق السريع متجها نحو الشمال، وبعد مضي بعض الوقت، ظهرت الجبال من بعيد، تساءل هيثم:

- ما أروع الجبال يا أبي!

ابتسم الأب وهو يقول:

- وما أروعها عندما تقترب منها أكثر!
- كيف أقترب منها؟
- أن تسير وسط الجبال، وتتأملها وأنت بجوارها.

صفّق هيثم فرحا، وهو يتعلق بذراع أبيه:

- أشكرك يا أبي على هذه الرحلة الجميلة، إنها مفاجأة حقًا.

انحرف الأب بسيارته في طريق ترابي ممهد، وراح يسير برفق على الطريق، بين الجبال الشاهقة، حتى وصل إلى مكان آمن، وترجل من سيارته واضعًا نظارته الشمسية على عينيه، وتبعه ابنه الذي مشى يتعثر بين الأحجار، لذا سقط أكثر من مرة، متعجبا من مهارة والده وثبات قدميه، فسأل أباه بعدما سقط للمرة الثالثة:

- لا أستطيع السير بسبب هذه الأحجار يا أبي، لقد سقطت بسببها. كيف تسير عليها أنت يا أبي ؟!

ضحك الأب وهو يضع قدمه على الحجر الكبير الأكثر ثباتا، ويتأمل مشية ابنه المرتبكة أحيانا، والمترددة دائما، وقال له:

- انظر ماذا أفعل ؟ إنني أنظر إلى موطئ قدمي قبل وضعها عليه.

- أنا أسير يا أبي مثلما أسير في أي مكان ؟
- كل مكان يختلف عن الآخر، ويحتاج إلى النظر في أرضه، فالسير على الرمال، غير السير بين الجبال.

صدّق هيثم على رأي أبيه، ونظر إلى مواضع أقدامه، قائلا:

- نعم يا أبي.. أنت تسير فعلا بشكل صحيح، تختار الحجر الكبير الثابت فتضع قدمك عليه، وتنتقل من حجر إلى حجر بمهارة.
- إذن، افعل مثلي.
- سأحرص على اختيار الأحجار المناسبة.

ضحك الأب وهو يرشد ابنه:

- لم تفهمني بعد يا هيثم، أقصد أن تنظر إلى موضع قدمك، ثم تفكّر قبل وضعها، لأنك ستندم إذا لم توفق في اختيار المكان المناسب.

هرش هيثم في شعره، وقال:

- كلامك صحيح يا أبي، سأنفّذه الآن.

راح هيثم ينظر أمامه، ثم تحت قدميه، فاستطاع السير بشكل جيد وإن كان سيره بطيئا، فنظر إلى أبيه، الذي علّق سريعا:

- لا تقلق، إنها البداية، وعندما تتدرب عليها ستكون أفضل مني.
- شكرا يا أبي، لقد تعلمت الكثير منك.

توقف الأب ثم تطلع لنجله:

- بالمناسبة، يمكنك تطبيق ما تفعله الآن في الحياة.
- كيف ذلك يا أبي ؟ لم أفهم.

استأنف الأب مشيه وقال: أنا أوضح لك يا هيثم.. مثلما تنظر أمامك وقبل أن تضع أقدامك، عليك أن تفكر في كل خطوة قبل أن تقوم بها، ففكّر فيما تقول قبل أن تنطق به، وفكر في الفعل قبل أن تفعله.

احمرّ وجه هيثم، وقال: تقصد أنني مندفع في تعاملاتي مع أصحابي.

- حمدا لله، فهمت ما أقصده، لو أعطيت لنفسك فرصة للتفكير ستكون رابحًا.
- قد لا أستطيع يا أبي..

انحنى الأب، لينتقي قطعة صغيرة من الزلط، ثم قربها من فمه، فتعجب هيثم:

- ماذا تفعل يا أبي ؟
- سأقوم بتجربة قرأت قصة عنها فأعجبتني.
- وما هي القصة ؟
- يحكى أن شيخ إحدى القبائل في الصحراء سقط في أيدي الأعداء بعدما قاومهم طويلا، فلما أرادوا التحقيق معه، لاحظوا أنه يضع قطعة من الزلط في فمه، فإذا أراد الإجابة، أخرج القطعة، ثم عاد لوضعها، فتعجب الأعداء منه، ومن تمسكه بقطعة الزلط في فمه، فسألوه عن ذلك، فتمهل قليلا، ثم أخرج القطعة.

بسرعة سأل هيثم: وماذا كان رده يا أبي ؟

- أجاب الشيخ: أنا مندفع في كلامي، والكلمة إذا كانت في خاطري كانت ملكا لي، فإذا خرجت من فمي لم تصبح ملكا لي، فوضعت قطعة الزلط في فمي، حتى أمهل نفسي فرصة للتفكير فيما سأقوله، قبل نطقي.
- عرفت يا أبي ما تقصد.. سأجتهد في تطبيق ما علمتني.
- والآن، ألا يجب لن علينا أن نشاهد الجبال الشاهقة؟ هيا بنا.

***

اتجه الاثنان نحو الجبل الأقرب لهما، قال الأب وهو يشير إلى قمته:

- انظر إلى قمة الجبل.

تطلع هيثم إلى القمة العالية، وعاد للخلف قليلا، محاولًا الوصول ببصره لها، ولكن هيهات، فسرعان ما ردّ بصره متأذّيًا من أشعة شمس العصر التي احتل قرصها قمة الجبل، وأسبغ ضوءه ذا اللون البرتقالي على الصخور. صاح هيثم:

- الشمس مسلطة على عيني يا أبي، لا أستطيع رؤية القمة.

ضحك الأب، وهو يضع نظارته الشمسية على عيني هيثم.

- وما رأيك الآن ؟ انظر جيدا..
- أنا أرى القمة الآن.
- إذن، الفضل لهذه النظارة يا أبي.
- لا، ليس الفضل للنظارة..
- إذن، الفضل في ماذا يا أبي ؟
- ببساطة، لأنني فكرت قليلا قبل نزولي من السيارة فيما سأفعل، فأخذت ما يلزمني معي.
- فقط النظارة ؟

فتح الأب حقيبته، التي علقها في كتفه، وقال:

- هذه حقيبتي، فيها كل ما أحتاجه خلال نزهتي معك، ماء، وطعام خفيف، وأشياء أخرى. ماذا تتعلم من هذا يا هيثم ؟
- إذن، أتعلم أن آخذ احتياجاتي معي.
- لا.. تتعلم شيئا آخر.

تعجب هيثم، وقال:

- ماذا يا أبي ؟
- ما قلته لك، بأن تفكر فيما ستفعل، بعد لحظة أو ساعة أو يوم أو أسبوع، فتستعد له بما يلزمك.

هتف هيثم بحماسة:

- هذه تقريبا نفس نصيحتك قبل قليل، حتى أتفادى الأحجار، وعندما أنطق.

بحنان قال الأب:

- نعم يا هيثم، إذا فكرنا قبل أن نخطو أو نفعل، فبلاشك سنستعد لما نريد، ونوفر على أنفسنا تعبا كثيرا، ومشاكل أكثر.
- أشكرك مرة ثانية وثالثة يا أبي.. استفدت كثيرا في هذه الرحلة المفاجئة.

قال الأب وهو يجذب ابنه لطريق آخر:

- هيا بنا، سنواصل رحلتنا في مكان آخر..
- أين يا أبي ؟!

***

توقع هيثم أن يعود والده للسيارة، ويرحلان لمكان جديد، ولكنه فوجئ بأبيه يسير به بعيدًا عن الجبل، متجها نحو الأرض المنبسطة.

- إلى أين نتجه يا أبي ؟
- كما تشاهد، أريد مشاهدة الوادي.
- وما هو الوادي ؟
- ألا تعرفه ؟ لقد أخذتك إليه من قبل.

- أذكر أننا خرجنا إلى البر مع أمي وإخوتي من قبل، ولكن لا أذكر الوادي.
- ستذكره الآن.

كان الاثنان قد اقتربا من منخفض كبير، ووقفا على طرفه، فيما كانت الجبال الشاهقة تحيط به من بعيد. قال هيثم:

- تذكرت الآن يا أبي. فعلا، ذهبنا إلى مكان يشبه هذا المكان.

أخذ الأب نفسًا عميقًا، وهو يتأمل المنظر أمامه، وقال:

- انظر يا هيثم، هذا هو الوادي، منخفض عميق بين مرتفعات.

سكت الأب ثم أردف:

- إنها متعة كبيرة أن تكون وسط الطبيعة، وحولك المرتفعات والمنخفضات، والسماء تظلك، تشعر ساعتها بعظمة خَلقِ الله تعالى.

قال هيثم وهو يتطلع لرحابة المشهد:

- ما أروعه يا أبي ! اليوم أرى فيه ما لم أره من قبل، رغم أنه خالٍ من الأشجار والخضرة، فقط الأحجار والرمال، ولكنه شديد الجمال.
- وماذا عن الألوان ؟ هل كلها لون واحد ؟

فكر هيثم، وتمتم:

- إنها اللون الأصفر يا أبي.. لون الرمال.
- انظر وتأكد..

حملق هيثم فيما حوله، وتمتم ثانية:

- لا، إنها ليست لون الرمال فقط، هناك ألوان أخرى.

- مثل ماذا ؟
- مثل البني، والأحمر.
- ولو تأملتا أكثر ستجد مختلف الدرجات اللونية من الفاتح إلى الغامق للأصفر، والبني، والأحمر، وقد تصل إلى الأسود. ويمكنك إذا عدت للمنزل أن ترسم هذا المنظر من ذاكرتك.

صدق هيثم على كلام أبيه قائلا:

- نعم يا أبي.. أنا أحب الرسم، وسأرسمه كما أراه هنا.

كان الاثنان أعلى الوادي، فراح الأب يتمشى، وهيثم يتبعه، ثم قال الأب:

- الناس يا هيثم مثل هذه الطبيعة، متدرجون في نفوسهم وطباعهم، وزد على ذلك أنهم متقلبون في أمزجتهم.
- ماذا تقصد يا أبي ؟
- أقصد أن أصحابك مثل هذه الطبيعة، ليسوا على طبع واحد، بل أنت نفسك لست على طبع واحد، فمرة تكون عصبيًا، ومرات تكون هادئًا. فعلينا تقبل الناس في مختلف أحوالهم ونعذرهم فيها، ما داموا لم يؤذونا، فلنتحملهم مثلما يتحملوننا، ونصفح عنهم مثلما هم يصفحون عنا.

سكت هيثم، وقال:

- فهمت ما تقصد يا أبي... لقد تعلمت درسا مهما اليوم، وسأراعي طباع أصحابي.

ثم تساءل في خجل:

- ولكن كيف أعاملهم على اختلاف طباعهم يا أبي ؟

نظر الأب بحنان إليه، وقال: هيا اصرخ يا هيثم..

ضحك هيثم وقال: كيف أصرخ ؟

قال الأب: هكذا.

أحاط الوالد فمه بكفيه ثم ردد بصوت منخفض نسبيا: آاااااه... آاااااه. ولكن ارفع صوتك عاليا.

فعل هيثم مثل والده باستحياء، فأصدر صوتا ضعيفا، فطلب منه الوالد أن يرفع صوته ويصرخ عاليا، ففعل هيثم المطلوب، ليكتشف أن صدى صوته يتردد في جنبات الوادي بعشرات الأصوات.

استفهم الوالد: ما رأيك في هذه الأصوات ؟

أجاب هيثم: هذا صدى الصوت.

قال الأب: هيا اصرخ بأي شيء، وانظر ماذا يحدث.

فصرخ هيثم: من أنت ؟ فجاءته الأصوات من جنبات الوادي، مرددة " من أنت"، أشار الوالد أن يصرخ بالمزيد، فضحك هيثم، وقال سأجرب كلمات أخرى، وصرخ " أنت جبان "، فردد الصدى:"أنت جبان " عشرات المرات، فغضب هيثم، وقال:

- كأن الأصوات تشتمني يا أبي.
- جرّب غيرها.

فصرخ هيثم: أنا أحبك..فارتدت الأصوات " أنا أحبك "

ابتسم وصرخ هيثم: أنا أحترمك... فكان الصدى " أنا أحترمك ".

ضحك الوالد وأشار لهيثم أن يصمت، وقال: وهكذا أجبتُ عن سؤالك؛ لا تحتاج إلا أن تعامل أصدقاءك مثلما تريد أنت، إذا أحببتهم أحبوك، وإذا احترمتهم احترموك، وإذا عاملتهم عاملوك بلطف، وإذا قسوت عليهم، قسوا عليك.

هرش هيثم في شعره ثانية، وقال:

- هذه هي نفس الحكمة القائلة: عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به.

صدق الأب على كلامه، وعلّق: نعم يا هيثم.

- وماذا إذا أساء صديقي لي دون أن أسيء إليه.
- اتركه يراجع نفسه، ولا تعامله بالمثل، فإذا كان إنسانا طيبا فحتما سيعتذر منك بشكل أو بآخر، وإذا كان إنسانا طالحا ؛ فثق أنك الرابح عندما تحرمه من صداقتك.

قفز هيثم عاليا ليقبّل أباه، الذي سارع بالانحناء، ليحضن ابنه، واتخذ الاثنان طريقهما للعودة، بعدما أوشك قرص الشمس على المغيب.

❊❊❊

# الجدار والسقف

لم تصدق " ياسمين" عينيها وهي تدخل غرفة جدها المسنّ في المستشفى، لقد كان بشوش الوجه، متألق العينين، وهي التي اعتادت على وجومه الدائم منذ دخوله المستشفى قبل ثلاثة أشهر.

كان ذلك في زيارتها الأسبوعية المعتادة مع أمها، حيث تظل جالسة جانب جدها على طرف فراشه، تتحسس وجهه، وتهمس له بأخبار الأهل والناس فيرنو لها سعيدًا، ويشجعها بحركة مقلتيه، وكلماته القليلة الدالة على شوقه لها.

تعلمُ "ياسمين" إصابة جدها بمرض عضال؛ ألزمه المكوث الدائم في المستشفى؛ ليكون تحت رعاية طبية مباشرة ليلا ونهارا.

فهو لا يبدّل رقدته على الفراش، فيظل مستلقيا على ظهره، ناظرا إلى السقف، يُرِهف سمعه لمحدثيه، وتقوم الممرضات بمتابعة شؤونه الخاصة.

سألته " ياسمين " والضحكة تملأ وجهها عن سبب سعادته هذه المرة، وأنه مختلف عن المرات السابقة، فضحك وتحرك محجر عينيه إلى السرير المجاور له، وقال: لقد رزقني الله بصديق جديد وهو الحاج "حسن".

تطلعت " ياسمين " إلى السرير الآخر في الغرفة، ثمة رجل يقارب سن جدها، يكلل الشيب رأسه، تنطق ملامحه بالطيبة والسماحة، ويرقد مثل جدها على ظهره، ولكنه يمكنه التقلب يمنة ويسرة بشكل محدود، بعكس جدها الذي يجب أن يظل مضطجعا على وضعية واحدة لا يغيرها؛ حسب أوامر الأطباء.

التفتَ إليها " الحاج حسن " وإلى والدتها، وتمتم بكلمات مرحبة بهما، ثم سألها:

- أنتِ "ياسمين" حفيدة أخي الحاج " سليم " بلا شك. لقد حدثني عنك، وعن والدتك السيدة " نوال".
- نعم يا حاج حسن، إن جدي سعيد بصحبتك في الغرفة.

- الحمد لله يا بنيتي على كل حال، المرض ابتلاء من الله للمؤمن، ليكون تكفيرًا لذنبه، فيلقى الله صافيًا نقيًا.

رفعت " نوال " كفيها بالدعاء:

- سلّمك الله يا حاج حسن أنت وأبي من كل شر.

قال الحاج " سليم " ومحجرا عينيه مثبتان للسقف كعادته، وسُمِعَ صوته واهنا:

- لقد حكى لي الحاج حسن عن أولاده الذين سافروا للخارج، وابنته الوحيدة المتزوجة التي تأتي لزيارته، وحكى لي عن حياته، وأنا حكيت له أيضا كل شيء عن حياتي ومرضي والناس.. وهكذا نضيع الوقت في الكلام.

ضحك الحاج حسن وقال:

- إننا لا نضيع الوقت يا حاج سليم، بل نتعارف ونتحاب، وتتآلف قلوبنا في الله.

علّق الحاج سليم باسما:

- تخيلي يا " نوال "، أنا لم أر وجه أخي حسن حتى الآن، حفظت صوته وحركاته وسكناته، ولكن لظروف مرضي لم أره، فعلي أن أظل على هذه الهيئة، أبحلق في السقف، وأسمع مَن حولي.

ضحك الحاج حسن:

- ولكنني أراك، ولو كان بمقدوري الحركة سآتي إليك، كل المسموح لي هو الجلوس لمدة ساعة يوميا في فراشي بعد صلاة العصر.

استفهمت " ياسمين " بخجل وبصون خفيض من أمها:

- وكيف يصليان العصر يا أمي وهما بهذه الحالة ؟

سمعها جدها "سليم "، فأجاب: أنا أصلّي تمتمةً، وأومئ برأسي وأحرّك رقبتي على قدر استطاعتي، وأنا في اضطجاعي.
ثم أكمل: الصلاة يا بنيتي ما هي إلا نية خالصة، وتلاوة قرآن وأدعية، والحمد لله على نعمة العقل، فلا زلنا نفكر ونسترجع محفوظنا من القرآن.
أقبلت الممرضة معلنةً أن وقت الزيارة أوشك على الانتهاء، فاستأذنت ياسمين وأمها، وقبلتا الجد سليم، وسلمتا على الحاج حسن ثم انصرفتا.

***

وقت العصر، جاءت الممرضة، وساعدت الحاج حسن على القعود في فراشه، فرتّل آيات من القرآن، فقال له " سليم ":

- لماذا أنت صامت يا حسن ؟

جاءه صوت حسن وهو يقول:

- كنت أرتل يا " سليم " ما تيسر من القرآن، ما أجمل آيات القرآن!
- قل لي يا " حسن "، كيف هي الحياة وأنت قاعد؛ فلي شهور لا أعرف إلا الاستلقاء على ظهري، وقد حفظت السقف بكل منمنماته.
- الحمد لله يا أخي، فأنا أنظر من النافذة، فالحياة مختلفة تماما عما عرفتُه.
- كيف تكون الحياة مختلفة؟
- أرى حديقة واسعة، تملأها الخضرة والأشجار، أشجار ممتدة وارفة الظلال، كثيرة الثمر..

انتشى " سليم " وهو ينصت لوصف " حسن "، فحثّه على الإكمال وهو يغبطه على رؤيته ما لا يراه، ويقول في نفسه لا شك أن " حسن " وهو يجاور النافذة، يشاهد حديقة المستشفى، ويصفها لي: أكمل ما ترى يا "حسن".

- أمامي هناك بحيرة كبيرة يسبح فيها البط، مياهها زرقاء صافية، ويلهو الأولاد على جوانبها.
- كيف يكون لهو الأولاد يا سليم ؟
- لن تصدق يا حسن، لقد صنعوا زوارق من أخشاب وأوراق، وراحوا يلعبون بها داخل الماء، ومنهم من أنزل أقدامه لتعبث في المياه الصافية، وهذا طفل يعوّم مركبه الصغير، وتصلني ضحكاتهم البريئة.

قال " سليم " وقد أطبق جفنيه، وسبح في خياله مع الوصف؛ فكأنه يتماثل أمام عينيه، ويعيش مع كلماته البليغة، التي ينتقيها " حسن " وهو يتكلم ببطء كعادته.

- وماذا بعد يا حسن ؟ أكاد أشم رائحة الزهور.

أجابه حسن بتؤدة:

- وإن شاء الله تتشممها عندما تشفى، وتقطفها وتجلس وسط أحواضها، فالزهور هنا أنواع وألوان؛ وقد كوّنتْ لوحةً تنطق بعظمة من خلقها، وجعلها الله متعة لأبصارنا، وعطرا لأنوفنا، وجلاءً لهمومنا.
- وماذا عن باقي الناس ؟ فقط الأطفال هم الموجودون ؟!
- بالعكس، الناس موجودون، رجال ونساء، وجوههم ناضرة، وملابسهم زاهية، وهناك مراكب صغيرة يبحر بها الناس في البحيرة.

سكت حسن، وكأنه يمعن في النظر؛ هكذا خُيّل لسليم، ثم قال:

- والجميع يتمشى حول حواف البحيرة، وهناك آخرون جلسوا في ظلال الأشجار و بجانب الزهور بألوانها اللامعة تحت أشعة الخفيفة للشمس، ومنظر السماء بديع يسر الناظرين.
- ما أروع وصفك ! وما أبلغ كلماتك !

وهكذا تتابعت الأيام ومضت، وساعة العصر ثابتة في موعدها، يقعد حسن في فراشه، وينصت له سليم، وفي كل يوم يزداد الوصف للطبيعة الجميلة، يُمعن حسن في وصف المزيد من التفاصيل، مراتٍ يصف الأشجار الباسقة وثمارها اليانعة، ومرات يذكر المزيد عن جنبات الحديقة الممتدة، فسورها طويل، مكون من أشجار بأغصان ملتفة، وهي مقسّمة إلى مساحات عشبية في مثلثات أو دوائر أو مربعات. وعندما يتعجب الحاج سليم مما يصف، ويبدي استغرابه أن تكون حديقة المستشفى بهذه الرحابة والجمال، لم يكن يجبه "حسن"، فيواصل السرد، ثم يصمت ويستحضر ذكر الله، بتهليل أو تسبيح أو حوقلة، فيشاركه " سليم " في ذكره، فإذا تلا " حسن " آية قرآنية، يطلب منه سليم إعادتها، حتى يحفظها.

- إنها ساعة العطر.. تلك التي تأتي مع العصر.

هكذا كان يقول "سليم" لزائريه، حتى لا يطيلوا زيارتهم، لفترة العصر، وهكذا أدركت "ياسمين" أسباب السكينة التي استقرت في محيّا جدها، وابتسامته الدافئة التي تنبض بها ملامحه. فإذا رغبت "ياسمين" في سماع ما يقوله الحاج " حسن " لجدها، كان الجد يرد:

- إنه كلام جميل، ذكر وتهليل، ووصف للحدائق والهواء العليل.

فتتعجب ابنته نوال، من كلمات والدها المنتقاة :

- لقد صرت شاعرًا يا أبي !
- أبدا.. أبدا، ولكن وأنا في شيخوختي، عرفت كيف يكون للكلمات أثرها الطيب لرجلٍ مثلي يقضي يومه مبحلّقا في السقف، فلا سبيل له إلا أن يسمع بأذنه.

***

كان الحاج " حسن " في أذكاره المعتادة، يتمتم بها تارة بأصوات مفهومة، وكثيرا ما تكون غير مفهومه، ولكنها تمحو صمت الغرفة، وتملأها بركة.

فجأة صمت " حسن "، وسكنت حركاته، لم يصدق " سليم "، وأدرك مدى عجزه الشديد، وهو غير قادر على تحريك رقبته ليتلفت إلى صديقه، رفع صوته على قدر ما يستطيع، لعل الممرضة تسمعه، اجتهد أكثر ونادى عليها، فسمع خطوات قادمة، ورأى هيئة الممرضة التي أسرعت بفحص "حسن "، ثم ركضت مسرعة. أغمض سليم عينيه، مستسلما لكلمات الأطباء، وهم يقرّون بوفاة الحاج " حسن "، وضرورة نقله من الغرفة، والاتصال بأهله.

مشاعر مضطربة انتابت " سليم "، ستعود الغرفة ومعها أذناه للصمت، فاضت عيناه بالدموع، فرأته الممرضة وربتت على كتفه باكية:

- إنه قضاء الله.. لقد كان الحاج " حسن " في أيامه الأخيرة، وكان مرضه ميئوسا من شفائه.

انتبه " سليم " لكلامها، وقال: عجبا، لم يذكر لي ذلك.

ابتسمت الممرضة وقالت: لا تتعجب، فقد طلب من الأطباء إخفاء تفاصيل حالته تماما حتى عن أولاده، كي لا يقلقهم أكثر، فقد كان يحبهم كثيرا.

- ولكنه لم يتألم أمامي!
- لا تستغرب يا حاج " سليم "، كان يقول لي: لقد تعودت على آلامي، وأعرف متى تأتي، وكيف أكتم الوجع حتى أتناول أدوية المسكنات.
- رحمك الله يا " حسن "، كم كنت شخصًا رائعًا راقيًا !

ثم قال للممرضة برجاء: هل يمكن نقلي لأكون في مكانه ؟

- لا مانع، سأخبر الطبيب، ولا أظن أنه سيرفض.

في أقل من ساعة، تعاونت الممرضة مع العاملة لنقل الحاج سليم ؛ عبر تحريك سريره ببطء وخزانة أغراضه الخاصة إلى المكان المطلوب، ليصبح قريبا من نافذة الغرفة، اطمأن الحاج في مكانه الجديد، وشعر كأنه يتنسم أنفاس الحاج حسن، ولا يزال صوته يرن في أذنيه، ثم حانت منه التفاته إلى النافذة المجاورة لسريره، والتي كانت سلوة حسن في أمسياته العصرية، وسأل الممرضة:

- هل يمكن تقريبي من النافذة للحظات قليلة ؟ أريد رؤية الدنيا في الخارج.

عدّلت الممرضة من وضع سريره حتى تيسر له التطلع عبر النافذة، ثم تمتم مندهشا مما رآه: لا يمكن أن تكون هذه نافذة الحاج حسن.

- لماذا ؟ !!!

لاذ الحاج سليم بالصمت، فقد اعتملت خواطر كثيرة في أعماقه.

***

في موعد الزيارة المعتاد، أدركت " ياسمين " وأمها " نوال " ما حدث من تغيير في الغرفة برحيل الحاج حسن، توقعتا حزنًا كبيرًا عند الجد " سليم " ولكن كانت الاستكانة تغلف ملامحه، مع الإحساس بالاستسلام لقضاء الله، تساءلت ياسمين:

- لماذا طلبت نقل سريرك يا جدي ؟
- حتى لا تغادرني ذكرى حسن.
- ولكن الممرضة قالت لنا إنك تعجبت كثيرا من النافذة.
- نعم.. ولا زلت متعجبًا.. بل مندهشًا.
- لماذا يا جدي ؟

- لقد كان حسن يصف لي حديقة المستشفى بكل ما فيها من زهور وأشجار وخضرة، وعندما تطلعت للنافذة، لم أرَ إلا السماء، فقط السماء الزرقاء، بسحبها البيضاء، واتساعها اللانهائي.

استفسرت ابنته نوال في حيرة: وماذا كان يصف لك إذن ؟
تفكر " سليم" لحظات، وقال:

- هذا ما أفكر فيه منذ رحيله، وأستعيد كلماته، وما حفظته منه من آيات القرآن، وما كان يردده من كلمات وخواطر.

قالت نوال:

- وماذا اكتشفت في النهاية ؟

بهدوء وسكينة، أجاب الجد: اكتشفت أن حسن كان يردد آيات الجنة، جنات رب العالمين، وأن كل ما وصفه كان ما يؤمله من الله في آخرته.
بكى " سليم " ثم أردف:

- رحمك الله يا حسن، أردت أن تخفف عني المرض بكلماتك، وأنت تعاني مرضا أشد مني، وعلمتني مداومة الذكر، وكيف يكون الاشتياق لله والجنة.

❋❋❋

# كؤوس الحياة

ابتسم " حسام " للمثال الطريف الذي ساقه الدكتور"خضر" مدرب التنمية البشرية في محاضرته لعدد من الطلاب، كان المثال سهلا، والتجربة عملية، والتي جاءت ردا على سؤال لطالبٍ رفع يدَه، واستفسر بسؤال بعيد عن المحاضرة، كان الاستفسار غريبًا بالفعل، فالمحاضرة موضوعها سبل التفوق الدراسي، بينما السؤال كان واضحا ومباشرا:

- د.خضر، أنا أعاني من مواقف سيئة مع أصحابي، ولا أستطيع التركيز في مذاكرتي، لأنها ذكريات مؤلمة لي.

توقع الطلاب الحاضرون أن يتجاهل د.خضر السؤال بشكل أو بآخر على عادته في الأسئلة البعيدة عن سياق الكلام، أو على الأقل يطلب تأجيل الإجابة لما بعد انتهاء المحاضرة، إلا أن د.خضر ابتسم، وقال:

- شكرا على السؤال، وإليك الإجابة.

وسرعان ما أمسك كأسا مملوءة بالماء كانت موضوعة أمامه، ورفعه عاليا، دون أن يقربه من فمه. وسأل مستمعيه:

- ما هو في اعتقادكم وزن هذا الكأس من الماء؟

تنافس الحاضرون في تقديم الإجابات في ذكر الوزن، والتي تراوحت ما بين ( ٥٠ جرام إلى ٥٠٠ جرام )، والمحاضر صامت لا يعلق، ثم قال:

- لا يهم مطلقا الوزن لهذا الكأس.

تعلقت الأنظار به، فاتسعت بابتسامته أكثر، وراح يوزّع نظراته على وجوه الشباب، الذين هم في سن الزهور، وتنطق عيونهم بتوقد الأذهان ورغبتها في معرفة الجديد.
قال المحاضر:

- يا شباب، الوزن هنا يعتمد على المدة التي أظل ممسكًا فيها هذا الكأس.

جاءته أسئلة عديدة: كيف هذا ؟ ما المقصود بالمدة هنا ؟
قال د.خضر والكأس يتحرك في يده:

- إذا حملت الكأس لمدة دقيقة واحدة لن أشعر بشيء، ولو حملته لمدة ساعة فسأشعر بألم في يدي، أما إذا حملته لمدة يوم فلاشك أنكم ستستدعون سيارة الإسعاف، هل فهمتم مقصدي ؟

ابتسم البعض، وعبس البعض الآخر، وتساءل حسام:

- وما علاقة الكأس والوزن بالهمّ في الدنيا ؟

أوضح د.خضر:

- قبل الحديث عن الهم، نعود إلى الكأس يا شباب. الكأس الممتلئ بالماء تكون قيمة الوزن في مدة حمله، فكلما طالت مدة حملي للكأس، كلما زاد وزنه؛ فيتعب يدي.. هل وصلتم لما أريد ؟

ارتفعت الأصوات:

- بدأنا نقترب..، ربما..

أجاب الطالب السائل موضحا:

- الكأس مثل الهمّ.

وأكمل حسام: كلما زاد حملي له، كلما أتعبني نفسيا، فعلينا ألا نرهق قلوبنا بهمومنا في الدنيا. وبذلك يكون الذكي هو من تخلّص من الهم سريعا.
هتف د.خضر: هذا ما أردته بالضبط يا شباب، وفي هذه الحالة، ثق أنك ستعيش راضيًا صافي القلب، مرتاح البال.

عاد الطالب السائل مستفهمًا: وكيف نتخلص من حمل الهمّ ؟ إنه يطاردنا في صحونا وأيضا في نومنا، لأنه يصبح ذكرى حزينة مؤرقة.

أجاب المحاضر: في هذه الحالة، جرّب أن تبتعد عن الكأس نفسه، فابتعد عن هذا الصاحب، فلا تجعله أمام بصرك، وانشغل بمن تحبهم ويحبونك، وبذلك، تملأ فراغ نفسك بمصاحبة من تحب، وتكون قد أبعدتَ عينيك وقلبك عمن يضايقك.

قال طالب: وهو نفس ما يقوله المثل عندنا: البعيد عن العين؛ بعيد عن القلب.

- صحيح، خاصة إذا كان شخصا يُتعبُك نفسيا إذا رأيتَه.

***

تداعى في ذهن " حسام " ما حدث وقتها وهو في طريقه إلى صالة الألعاب الرياضة "الجيم"، لممارسة رياضته المفضلة، ولا يزال موقف سيء فعله صديقه "وليد " عالقًا في ذهنه، فقد سخر منه وليد أمام زملائه في المدرسة، واستهزأ بملابسه، ولم يبال بنظراته المتضايقة، بل وأمعن في إضحاك أصحابه عليه. فغضب منه حسام، وترك شلّة أصحابه، مقررا الانتقام بأي طريقة من "وليد". وعندما عرض الأمر على زملاء له حضروا الموقف، قالوا له: أنت تعرف وليد، وتعرف طريقته في الكلام. فرد عليهم حسام قائلا: سأرد الإهانة بأي شكل.

وعندما استرجع "حسام" كلمات المحاضر د.خضر والمثال الذي ساقه، تساءل في نفسه: كيف يمكن تطبيق ما قاله في حالة وليد ؟ لا أظن أن هذا المثل يصلح مع شخصية شريرة مثل وليد. فلابد أن آخذ حقي، وأوقفه عند حده.

حسام ذاهب الآن إلى صالة "الجيم" وحتما سيكون وليد هناك، وحتما سيتواجهان، ولن يدع حسام هذه الفرصة تفوته، وسينال وليد جزاءه، وسيكون أشد ألما مما يتخيل.

وصل حسام " الجيم "، وبدّل ملابسه، واتجه لصالة رفع الأثقال، وهناك شاهد" وليدا"، وتلاقت أنظارهما، فكّر حسام، وكلمات "د.خضر " تصارع ما في نفسه، فقرر أولاً البدء

في اللعب حتى تحين اللحظة المناسبة ليسخر من وليد، ولكنه فكّر أكثر، وقال لماذا أحمل همّ وليد في نفسي، سأمتع نفسي بممارسة رياضتي المفضلة، وأتناسى وليد وموقفه.

وبالفعل انشغل حسام برفع الأثقال على عادته، واستغرقه اللعب، وبعد ساعة حانت منه التفاتة إلى وليد. كانت عيناه منكسرتين، فقد آلمه تجاهل حسام، وسرعان ما غادر الصالة في خجل، أما أصدقاؤه الحاضرون فقد ابتسموا لحسام، وقالوا له: لقد أحرجت وليدًا بتجاهلك له لأكثر من ساعة، كم أنت راقٍ يا حسام.

ابتسم حسام، وتذكر كلمات د. خضر، وأدرك أن الموقف لم يكن يحتمل كل هذا الضيق منه، وعندما تناساه، اكتشف أنه تصرف بشكل صحيح ومهذب.

❊❊❊

# عندما تعصف الرياح

كم هي المرات التي ذهب فيها "راشد" مع والده إلى ساحة العمال الواقعة في البلدة المجاورة، كي يُحضر عاملا للشغل في مزرعة والده، والتي فيها أيضا بيتهم.

في كل مرة كان أبوه يحضر عاملا، وسرعان ما يترك العامل المزرعة، ويعود من حيث جاء، معلنا عدم قدرته على الاستمرار، فالعمل شاق عليه والمزرعة تقع بالقرب من الشاطئ حيث تقوى الرياح، وتشتد العواصف، وتفسد الحظائر والأشجار وتتلف ما في البيت أيضا، ولا طاقة لعامل واحد على هذا العمل الشاق. كلُّ هذا، ويضاف عليه عصبية والده، الذي يغضب سريعا عندما يجد الرياح معربدة في مزرعته، تطيّر كل ما أمامها.

ركب " راشد " السيارة مع والده، وهو يقول:

- الأفضل يا أبي أن تبيع المزرعة، وتأخذ مزرعة جديدة، بعيدة عن البحر، وستجد عشرات العمال الذين يقبلون العمل معك.

استنكر الوالد كلام ابنه:

- كيف أبيع المزرعة التي ورثتها عن جدك، وتعبت كي أزيد في مساحة أرضها، وأغرس فيها الأشجار، وأبني الحظائر.
- ولكنك تعاني مع العمال، ونتعب نحن معك.
- سأجد عاملا جيدا بلاشك، وهذه المرة سأرفع الأجر.

وصل الاثنان إلى الساحة، هناك عمال كثيرون متواجدون، أوقف الأب سيارته، وترجّل منها، ورفع صوته ليسمعه العمال:

- أريد عاملاً مقيمًا في مزرعتي، وله أجر سخي مني.

تسارع إليه عدد من العمال، في حين ابتعد عنه الآخرون وهو يقولون:

- هذا أبو راشد صاحب مزرعة الشاطئ، وكلُّ من اشتغل عنده، هرب منه.

استفسر من تبقى من العمال عن الأجر، وأعجبوا به، وأوشك بعضهم على الموافقة، ولكنهم تراجعوا عندما سمعوا كلام العمال الآخرين، إلا عاملٌ واحد، كان رجلا في أواسط العمر، يبدو عليه هدوء الطبع، وتنبض ملامحه بالطيبة، وكان على غير المألوف في العمال: قصيرا، نحيفا، وقف يسمع دون تعليق لكلام " أبي راشد "، ثم قال:

- يمكنني العمل عندك يا سيدي.
- وهل سمعت ما قاله العمال عن مزرعتي ؟
- نعم..
- وتقبل العمل عندي.
- أجل.

ابتهج راشد فقد وجد والده ضالته أخيرا، ولكن أبا راشد بدا متشككا، وراح يزيد من استفسارته للعامل بعدما عرف أنه يُدعى " خلف "، وكنيته "أبو بشر"، سأله أبو راشد وهو حريص على خلو نبرة صوته من العصبية:

- كل ما أريده منك يا "خلف" العمل بجد في مزرعتي، ومواجهة الرياح عندما يشتد عصفها، فقد تتلف ما في المزرعة.

أجاب خلف وهو يتأهب لركوب السيارة مع والده، مصطحبا كيسًا كبيرًا فيه ملابسه، وبعض حاجاته:

- اطمئن يا أبا راشد، سترتاح معي، فأنا الذي أنام عندما تعصف الرياح.

قطب أبو راشد حاجبيه دون تعليق، وتعجب الابن من إجابة العامل الغامضة، وكان أبوه قد تحرك بالسيارة مبتعدًا في طريقه إلى المزرعة، ليتسلم " خلف " عمله الجديد، وهو يدعو الله ألا يعود لسوق العمال مرة ثانية.

ما إن وصل " خلف " إلى المزرعة، حتى شرع يعمل بمهارة فيها، وكان طيلة الوقت مشغولا من الفجر وحتى غروب الشمس، وأحس " أبو راشد " بالرضا عنه وعن عمله، وقد لاحظ " راشد " أن " خلف" طيب القلب، يتحمل عصبية والده، فإذا رفع والده صوته عليه، فإن "خلف" يؤثر الابتعاد والانهماك في العمل، حتى يروق والده، ويعود للحديث معه ثانية.

وبمرور الوقت بدأ الوالد يعرف هذه الخصلة في شخصية "خلف "، بل يبدي إعجابه بسمة راحة البال عند عامله الطيب، وابتسامته البسيطة التي لا تفارق محياه، وهذا أيضا ما رصده "راشد" في سمات والده، فقد بات مطمئنا لأمانة "خلف"، بل اعتمد عليه في كل شيء يخصُّ شؤون المزرعة وحظائرها، وأصبح ينادي عليه عندما يخاطبه "يا أبا بشر "، وهو يقول: لأول مرة أتعلم من عامل يشتغل عندي كيف أكون هادئًا.

***

وفي إحدى الليالي عصفت الرياح واشتدت زمجرتها من جهة الشاطئ، فقفز "أبو راشد" مرعوبا من فراشه، وأيقظ كل أفراد أسرته، ثم أخذ كشافا في يده، واندفع بسرعة نحو الحجرة التي ينام فيها " خلف " في أول المزرعة، وراح يطرق بابها بقوة، صارخا بعصبيته المعهودة: "اصحُ يا خلف، فهناك عاصفة شديدة. قُم وثبِّت كل شيء واربطه قبل أن تطيّره الرياح".

فتح " خلف " باب غرفته وهو يتثاءب، وتوقّع راشد أن يسرع راكضًا مع أبيه لعمل المطلوب، ولكن خلف قال في هدوء وحزم:

اطمئن يا أبا راشد، فقد سبق وقلت لك أنا الذي ينام عندما تعصف الرياح!

استشاط المالك غضبًا من ردة فعل " خلف"، وقال:

- لولا أنني مشغول يا خلف بالحفاظ على مزرعتي، لعاقبتك الآن، ولكنني لن أضيع الوقت معك، ولي معك كلام ثان بعد انتهاء العاصفة.

ثم استدار أبو راشد، وتبعه ابنه راشد، ليستعد لمجابهة العاصفة، ولدهشة أبي راشد الشديدة، اكتشف أن كل الحظائر مغطاة بمشمّعات، والبقر ساكن والطيور نائمة، والأبواب عليها أسياخ حديدية وجميع النوافذ محكمة الإغلاق، وكل شيء مربوط جيداً ولا شيء يمكن أن يطير. حينذاك فهم أبو راشد ما الذي كان يقصده خلف، فعاد مناديا على خلف وهو يقول : شكرا لك يا أبا بشر، دائما عند حسن الظن.

ودلف إلى غرفة نومه لينام هانئا، بينما الرياح تعصف.

❊❊❊

# البرتقالة في الزجاجة

كالعادة يستيقظ كل يوم الأب على عراك زوجته وهي توقظ ابنتهما "ريهام" كي تذهب المدرسة، وتظل الأم تصرخ في ابنتها، وتجذبها كي تنهض من فراشها، لتركب الحافلة في موعدها، بدلا من قيام الأب بتوصيلها.

بعد جهد جهيد تفتح "ريهام" عينيها، وتتثاءب في تعجب من هذا الضجيج الذي تستيقظ عليه كل صباح، فتقول مخاطبة أمها:

- هل يعقل هذا يا أمي؟ أنام على صوتك العالي، وأصحو كذلك.

انفعلت الأم أكثر، وصرخت في ابنتها:

- وما المطلوب مني ؟ وأنت اعتدت السهر ليلا، والاستيقاظ متأخرة صباحا، وبدلا من أن تشكريني، تعترضين عليّ.
- اتركيني يا أمي على راحتي، وأنا أستيقظ على صوت المنبه.

صاحت الأم غاضبة:

- هذا المنبه المسكين، دائما أجده ملقى جانب الحائط أو تحت فراشك.

قامت ريهام تجر رجليها، وباشرت شؤونها الصباحية، واستعدت للذهاب لمدرستها، وهي لا تكف عن التثاؤب، وعيناها شبه مغمضتين وكانت النهاية أن أركبها والدها في سيارته، وهي منشغلة بوضع شطائرها في شنطتها، وترتيب كتبها.

قال الوالد: لقد زهق منك سائق الحافلة يا ريهام، وأصبح يأتي كل يوم، يضرب البوق مرة واحدة، ثم يغادر سريعا.

أجابته ريهام بدلع مصطنع:

- الركوب معك متعة يا أبي، فلا تحرمني منها.

- أسعد بتوصيلك لمدرستك يا بنيتي الجميلة، ولكنك تنامين بعدما ننام، وتستيقظين بعدما نصحو.

***

كان يوم العطلة الأسبوعية، وكالعادة استيقظت " ريهام " قبيل الظهر، وفضّلت أن تتغدى مع الأسرة فلا داعي لتناول الإفطار. وفي الشرفة جلست الأم بجانب الأب، الذي راح يحتسي الشاي الساخن، ويتطلع إلى الشارع، قالت الأم معاتبة زوجها:

- تعبتُ مع ابنتك، لا تغير طباعها في حياتها، وسنظل في هذه المشكلة إلى الأبد.
- ليست المشكلة في سهرها ولكن المشكلة في عنادها.

وأردف الأب وهو يخرج علبة ملفوفة من حقيبته:

- نادي على ريهام يا أم ريهام.. أريد مناقشتها.

دقائق، وجاءت ريهام، تفرك عينيها، وتكتم تثاؤبها، فضحك عليها والدها:

- هل أنت مستيقظة أم أنت متحركة بالنوم ؟
- لا تسخر مني يا أبي، اليوم عطلة، وفي العطلة يحلو النوم والكسل.

مدّ الأب العلبة الملفوفة لابنته، والأم تراقب الموقف صامتة:

- ماذا في هذه العلبة يا أبي ؟
- افتحيها يا جميلتي.

فضّت " ريهام " العلبة، ثم أخرجت ما فيها متعجبة، وهي تقول:

- ما هذا ؟ برتقالة في زجاجة !!
- وماذا في ذلك ؟
- أبدا يا أبي، ولكن هذه هدية أم فزورة ؟

- اعتبريها كما تشائين.
- أرى أنها فزورة.

تدخلت الأم في الحديث وهي متعجبة من الموقف برمته:

- ولماذا هي فزورة يا ست البنات ؟

نظرت البنت لأمها، وردت بهدوء:

- كيف دخلت البرتقال الكبيرة في فوهة الزجاجة الصغيرة ؟ الأمر لا يعقل.

قال الأب وهو يرنو إلى عيني ابنتها:

- فكري أنت، بصفتك ماهرة في حل الفوازير.

صمتت ريهام فترة، وهي تتأمل ما في الزجاجة ثم هزت رأسها، معلنة عجزها.
نهض الأب، وأمسك بيمناه زوجته، وبيسراه ابنته، وقال:

- سننزل لحديقة المنزل، لعلنا نجد إجابة.

سار الثلاثة في طرقات الحديقة الضيقة، حتى وصلوا إلى شجرة برتقال، توقف الأب وأمامها وأشار لأغصانها:

- تأملي يا ريهام الشجرة، ستجدين الإجابة فيها.

فحصت ريهام الشجرة جيدا، ودعت أمها لمساعدتها، ولكنها لم تجد شيئا. فقالت:

- لا شيء في الشجرة يا أبي، أين الجواب ؟

دار الأب حول الشجرة، ثم أمسك فرعا صغيرا، به ثمرات قليلة صغيرة الحجم، لم تنضج بعد. وهتف: هنا الحل.
استفهمت ريهام من أبيها، فتطلع الأب إلى الأم، التي ابتسمت وقالت لابنتها:

- أظن أن أباك يا ريهام يدعوك لتأمل البرتقالة قبل نضجها، وكيف يمكن أن نتحكم فيها، كما نريد.

تأملت ريهام ثمرة البرتقال الصغيرة، وقالت:

- فعلا هنا الحل، لقد أدخلوا الثمرة في الزجاجة، ثم تركوها حتى تنضج.

ابتسم الأبوان معا، وربتت الأم على شعر ابنتها، بينما قال الأب:

- رائعة في ذكائك يا ريهام ؛ لقد وصلت إلى الحل بنفسك.

نظرت ريهام لأبيها وقالت بخبث:

- ولكنك تريد شيئا آخر غير حل الفزورة يا أبي! أنا أعرفك جيدا.

صفق الأب، فقد التقطت ابنته الغاية من كلامه، فأوضح:

- فعلا يا ريهام، ما أردت من هذا الموقف إلا توصيل رسالة لك.
- وما هي يا أبي ؟
- تخيلي نفسك مثل البرتقالة الصغيرة، وقد حبست نفسك في زجاجة، ستكبرين فيها، ولن تستطيعي الخروج منها.

ابتسمت ريهام وقالت:

- بالطبع، بل سأختنق فيها دون شك.

كانت الأم قد وعت المراد من الموقف كله، فقالت:

- أنت لا تسمعين كلامنا، وتسهرين وتستيقظين كما تشائين، فلو تركناك، ستكبرين يوما بعد يوم، وتعتادين على حياة السهر والكسل.

فكرت ريهام قليلا، ثم أجابت:

- ربما يا أمي.

قال الأب:

- وأنا أزيد على كلام أمك أكثر، فكل من يمارس عادات سيئة، ستظل معه في الكبر، فيتعذر تخلّصه منها، مثلما يتعذر إخراج البرتقالة الكبيرة من فوهة الزجاجة الصغيرة.

وأردف الأب:

- وساعتها لن ينفع الندم، ولن يفيد العناد.

❊❊❊

# اللوحة مكتملة

"اليوم يوم دراسي طويل، وقد درَسْنا موادا كثيرة، ولحسن الحظ ؛ لدينا حصتان للرسم في نهاية اليوم الدراسي، وستكون الفرصة متاحة للضحك والاسترخاء، فكل المطلوب في حصص الرسم: ألوان، وكراسة رسم ذات ورق مقوى، ثم الانهماك في الرسم ذاته، مع الهمسات، والحكايات، والضحكات.. إنها حصة من أمتع الحصص، وليت اليوم كله رسم ".

هكذا كانت همسات طالبات الفصل ؛ وهن يغادرن ساحة المدرسة، بعد انتهاء وقت الفسحة، ويستعددن للذهاب إلى المرسم مع المعلمة " أزهار "، والتي إذا ذُكِر اسمها، علت الضحكات من الطالبات، وتبارت كل طالبة في إسباغ صفة من الصفات عليها، هناك من ينعتها بـــ " الأشجار " لأنها طويلة أكثر من اللازم، وهناك من يرفض ذلك، ويقول بل هي "ألحان "، لأن صوتها عال، ودائمة الصراخ فيهن، فيتحول صوتها لألحان شجية. وثالثة تتباهى بوصف جديد لمعلمتها فهي " ألطاف" لأن عقوبتها كثيرة للطالبات، بعضها ضرب وبعضها فصل واستدعاء لولي الأمر، وتحويل لإدارة المدرسة، حتى بات فصل المشاغبات، الأكثر عقوبة من إدارة المدرسة.

وقد اجتمعت بهن المديرة عدة مرات، وأنذرتهن بالفصل، وأن شكاوى المعلمة " أزهار" لا تنتهي منهن، كما أن بعض الطالبات في الفصل نفسه يشتكين من زميلاتهن، بسبب سخريتهن اللاذعة، والاستهزاء المتكرر بهن.

***

تسير الطالبات في الطرقة المؤدية إلى المرسم، وهن يحملن أدوات الرسم اللازمة، وفجأة سمعن صوت زميلتهن " سماح " التي جاءت تركض إليهن، وعيناها تلمعان خبثا، وتقول:

- عندي خبر طازج، وفي نفس الوقت قنبلة.

جاءتها التعليقات متعددة:

- أهي قنبلة موقوتة أم قنبلة ذرية ؟
- طازج هو أم بائت من أمس؟
- طازج يعني: معمول في البيت أم في المطعم ؟

تعالت الضحكات ثانية، فقالت " سماح " بكل ثقة:

- أبلة أزهار تغيرت، وجاءتنا معلمة جديدة، ويقولون عنها إنها شديدة.

سكنت الوجوه لحظات، وتجمدت العيون، ثم تدفقت الكلمات:

- آه، نحن سنبدأ اليوم من جديد، مع معلمة جديدة.
- علينا إذن السكوت منذ بداية الحصة، حتى لا نخسر المعلمة منذ البداية.
- وعلينا أن نصمت عن سخريتنا، ونكتم ضحكنا وإلا...

قالت " سماح " بتشكك:

- يبدو أن تهديد مديرة المدرسة كان صحيحا، لذا، قامت بتغيير معلمة الرسم، وستتخذ إجراءات جديدة معهن.

كانت الطالبات قد وصلن المرسم، وهناك وجدن معلمة جميلة الملامح، تقف مبتسمة وترحب بهن. وكان هذا على خلاف العادة، فالمعلمة " أزهار " مقطبة عابسة الوجه، لا تعرف الطالبات لها إلا الصوت العالي، وهي تأمرهن بالجلوس، وتكلفهن برسم موضوع عن كذا أو كذا، وكل ما تفعله بعدها المرور بينهن ثم الجلوس على مكتبها.

وقفت الطالبات خلف الطاولات في المرسم، ألقت المعلمة الجديدة التحية عليهن ثم قالت: سأعرفكن بنفسي يا صديقاتي، أنا " ندى "، معلمة الفنون التشكيلية.

ثم طالبتهن بالجلوس، وهن يلتفتن إلى بعضهن، ثم سألتها الطالبة "همس":

- لماذا قلت إنك معلمة الفن التشكيلي، وليست معلمة الرسم.

ابتسمت الأبلة " ندى " وقالت:

- لأن الرسم جزء من الفن التشكيلي، الرسم هو التخطيط ثم استخدام الألوان على الورق، أما الفن التشكيلي فهو شامل للنحت والزخارف والجرافيك والأشكال المنفذة بالكرتون والخشب والتصوير الفوتوغرافي وغير ذلك كثير.

تعجبت الطالبات من إجابة المعلمة الميسرة، واستفسرت " سماح ":

- إذن، يمكننا نقوم بهذه الأشياء كلها في الحصة، وليس الرسم فقط.
- نعم، وأكثر من ذلك، سأترك لكن المجال للإبداع.

صمتت المعلمة، ونظرت إلى وجوه طالباتها وقرأت ما في نفوسهن، فقالت:

- أعلم أنكن اليوم في نهاية اليوم الدراسي، وأنكن متعبات من الدراسة، ولذلك لن أرهقكن بطلبات كثيرة..، وستكون حصتنا مختلفة عما عرفتن.

استغربت الطالبات من كلام معلمتهن، ولكنهن لجأن للصمت، حتى يعلمن في ما في جعبتها، قبل اتخاذ موقف منها، وبالأخص أن نبرة صوت المعلمة الجديدة تنطق بقوة شخصيتها، وهي تصوب نظراتها للطالبات كثيرات الحركة.
قالت المعلمة وهي تتمشى في الممر الفاصل بين الطاولات:

- حصتنا اليوم عن الرسم، وفي الحصص القادمة سنبدأ في الفن التشكيلي، وعليكن إحضار الأدوات والخامات المطلوبة، أي أننا سنستخدم المتاح الآن.

سكتت المعلمة ثم عادت إلى مكتبها وقالت:

- سيكون الموضوع اليوم عن رسم شخصيات، وسأعطيكن وصفا لشخصية، وعليكن أن تقومن برسمها بشرط.
- وما هو الشرط ؟ تساءلت الطالبات في صوت واحد.

قالت المعلمة بتأنٍ، وفي حرص على اختيار كلماتها:

- أن ترسمن الشخصية بشكل مثالي، خالٍ من العيوب.

تفكرت الطالبات، وسرعان ما انجذبن للسؤال المطروح، فناقشن المعلمة:

- حسنا يا أبلة، وهل هناك شخصية خالية من العيوب.
- لا أقصد هذا، فكل واحد منا فيه عيوب، ولكن أقصد أن نظهره في أجمل صورة، وأفضل ملامح، ونحسن تقديمه إلى مَن يراه.
- لماذا ؟

أجابت المعلمة بثقة:

- لتتغير نظرتنا إلى الناس، فبدلا من البحث عما يضحكنا فيهم، سنبحث عما يميّزهم عنّا، لنعرف أننا إذا سخرنا منهم، فهناك من سيسخر منا. ما رأيكن هل نصوّر الشخص في صورة جميلة، أم في صورة ساخرة هازئة به ؟

شعرت الطالبات أنهن المعنيات بهذا الكلام، ويبدو أن المعلمة السابقة " أزهار" نقلت للأستاذة ندى تلك الفكرة. المهم لا بأس، ولا داعي للكلام، فمن ستتكلم ستكشف عن سوابقها، وما أكثر سوابق الفئة المشاغبة في هذا الفصل! وقطعًا رحبت بقية الطالبات اللائي يعانين من سخرية الفئة المشاغبة.

قلّبت الطالبات الفكرة في رؤوسهن، ثم عقّبت بعضهن على كلام المعلمة:

- لاشك أن الهدف طيب، ولكن اذكري لنا ما مواصفات الشخصية المطلوبة، ثم ساعدينا كيف نفكر في رسمها.

أمسكت المعلمة بقلم السبورة وكتبت عليها:

" المطلوب: ملك أعـــرج، رجله قصيرة، ويرى بعين واحدة"

تفاجأت الطالبات من الوصف، وهتفن: كيف نرسمه دون عيوب ؟

- هذا طلب صعب جدا، فعلينا أن نظهر قدميه وعينيه.

قالت المعلمة بثقة:

- هيا فكرن، وأبدعن ثم ارسمن، وسأعطيكن الوقت الكافي، ثم نشاهد ما قمتن برسمه، ونتناقش حوله، وبالمناسبة أنا سأرسم مثلكن.

راحت الطالبات يهمسن فيما بينهن، وهن يعصرن عقولهن، وبدأت كل واحدة تتخيل، ثم تمسك أقلامها وتشرع في الرسم، ومضى الوقت، وراحت المعلمة تسير بينهن، تتأمل ما يخططن على الورق، دون تعليق منها، ثم تعود إلى مكتبها، فترسم على ورقها الخاص بها، والطالبات يراقبنها.

***

بعد مضي الوقت، ارتفع صوت المعلمة مجددا وهي تقول:

- إلام وصلتن أيتها الفنانات؟ هيا نعرض ما قمتن برسمه، وسأعرض رسمي أنا في النهاية.

رفعت بعض الطالبات أيديهن معلنات أنهن انتهين من رسمهن، أما الأخريات فأشرن بخجل أنهن ما زلن يرسمن، وتمتمن بأنهن في حاجة لمزيد من الوقت، ويمكن أن يسلمن المطلوب في الحصة القادمة.

آثرت المعلمة عرض ما تم رسمه، والنقاش حوله، فأذنتْ لإحداهن وكانت تدعى " سلمى"، فعرضت "سلمى " لوحتها، وكان الملك ساجدا يصلي، وقالت:

- كما ترون، لقد رسمته في وضع السجود وهو أقرب المواضع في الصلاة إلى الله، وأخفيت بالتالي عينه وقدمه.

ابتسمت الطالبات ورحّبن بالفكرة الطريفة، فقالت المعلمة:

- شكرا لك يا سلمى، فكرة جيدة، وغايتها طيبة، ولكنها لم تلب الشرط، فالشرط هو إظهار الملك جسدا مكتملا وبلا عيوب، وهنا لم نشاهد الوجه ولا الرجلين.. ولكن فكرتك بديعة، وتقدم لنا الملك مصليا.

رفعت طالبة ثانية رسمها، وهي تقول:

- وأنا رسمته جالسا في الحديقة، مرتديا نظارة شمسية، ممسكا بمجلة يقرأ صفحاتها، فاختفى عرجه وكذلك عينه.

ضحكت الطالبات، وقالت سماح: فكرة رائعة بالفعل، لقد ظهر قارئا مثقفا.
علقت المعلمة بقولها:

- فعلا أهنئك عليها، وأشعرت الرائي أنه سليم بلا عرج ولا عور.

رفعت طالبة ثالثة يدها، طالبة الكلمة وهي تعرض لوحتها: كما ترين، أنا رسمته متأملا في السماء، وأخفيت قدمه العرجاء جانب قدمه السليمة، وجعلت العين العوراء في الزاوية الأخرى، فظهر لنا كما ترين القدم السليمة والعين السليمة.
صفقت الطالبات، وفوجئن بالمعلمة تقوم إليها، وتتجول وسط الطالبات برسمها وهي تقول: انظرن كم نحن رائعون، عندما نحب الآخرين، فننظر إليهم بنظرة إيجابية، بل تبرز أجمل ما فيهم.
ارتفعت الأصوات تطلب من المعلمة عرض رسمها، فعادت المعلمة إلى مكتبها، ورفعت رسمها، وكم كانت دهشة الجميع، فقد رسمت صورة جميلة وفي غايــة الروعة، دالة على تمكنها من الرسم بسرعة، واستخدام الألوان بدقة، كانت اللوحة تصور الملك واقفاً، ممسكاً ببندقيـــة الصيد، وبالطبع كان يغمض إحدى عينيه وهي العين العوراء، ويحني قدمـــه العرجاء، وهـكذا ظهر جسد الملك كاملا واضح الملامح وبلا عيــوب. وسرعان ما ارتفعت أصوات الطالبات تعبيرا عن إعجابهن بمعلمتهن الجديدة، التي قالت ضاحكة:

- انظرن، لقد مضى الوقت، وأوشكت الحصة على الانتهاء، وكان الجو جميلا، لم نسخر من أحد، ولم نضيع وقتنا في حكايات ونكات، وإنما تعلمنا جديدا، بأن نحب الآخرين، ونراهم في أجمل صورة؛ حتى يحبونا، ويرونا في أجمل صورة، فالعين تعبر عما في القلب من حب وغبطة.

❊❊❊

# فرشاة في الظلام

قال بوريس بريجنكوف[1] لزوجته:

- تخيلي يا " إليجا " أنني صرت أرى اللوحات بصعوبة.

أجابت الزوجة التي كانت تحتسي الشاي بجواره:

- عجيب هذا، لقد كنتُ أظن الأمر مجرد مرض في عينيك.
- يظهر أن الأمر أخطر مما كنا نظن. لقد بتُ غير قادر على تمييز الألوان.

قالت الزوجة مطمئنة له:

- عموما، أي مرض له علاج، وأنت لا زلت في سن صغيرة، فلا تقلق، فعيناك لا تزالان بخير.
- سأذهب إلى الطبيب مرة أخرى.

***

تفحّص الطبيب عيني " بوريس " بصمت، وظل يجوب في كل عين بجهازه الضوئي، ثم عاد إلى مقعده، وهو يقول:

- لا تقلق يا بوريس العزيز، عليك أن تسير على هذا الدواء.

بوريس بحيرة:

- صارحني يا دكتور، ماذا بي ؟

قال الطبيب بملامح جامدة:

---

١) رسام روسي شهير، ولد في العام ١٩٣٥. والقصة مستوحاة من حياته، بتصرف كبير من جانبنا.

- هذا الدواء سيحسن عينيك كثيرا، وسأقوم بتفصيل نظارة طبية لك، ستساعدك على الرؤية.

قالت الزوجة للطبيب:

- هل يستطيع الرسم الآن ؟

أجاب الطبيب:

- أوصيه أن يستريح هذه الفترة، وعليه أن يترك الرسم جانبا، حتى تتحسن عيناه والهوايات كثيرة.

هتف "بوريس" بصوت قوي:

- الرسم ليس مجرد هواية لي يا دكتور، إنني أحبه أعشقه بقوة منذ صغري، ولن أستطيع أن أعيش بدونه، علاوة على أنه مهنتي الأساسية.

هدّأ الطبيب من انفعاله، وقال:

- يا عزيزي، إنها مسألة وقت، وستعود بعدها إلى هوايتك المحببة.

ثم أردف:

- الآن، استعد حتى آخذ مقاس النظارة لك.

استسلم " بوريس " للطبيب ومساعده، وهما يقومان بإعداد النظارة له، كانت هذه أول نظارة يرتديها في حياته، شعر كأنها ستفصله عن الطبيعة الجميلة التي يحبها، لقد اعتاد أن يرى كل شيء من خلال عينيه مباشرة، وليس عبر زجاج النظارة.
وضع الطبيب النظارة على عينيه، وقال له:

- مبارك عليك النظارة. هل تعلم أن شكلك وسيم وأنت ترتديها ؟
- شكرا لك يا دكتور.

- عموما، عليك أن تتعوّدَ عليها، وستساعدك في القراءة وقضاء حاجاتك بسهولة.
- والأهم من هذا أنها ستحرمني من الرسم.

عندما خرج بوريس مع زوجته، قال لها وهما في الطريق:

- إنني شعر بالقلق الشديد من كلام الطبيب، وأحس أنه يخفي الكثير عن حالتي.

قالت إليجا:

دائما أنت تقلق نفسك بدون داعٍ، لقد أكد لك على أن عينيك بخير.

***

سارت حياة بوريس على وتيرة واحدة، يستيقظ في الصباح، فيتناول فطوره، ثم يشرع في مطالعة الصحف، على مقعد في الشرفة، ويحرص ألا يقترب من مرسمه، حتى لا يسترجع ذكرياته الجميلة فيه. أقبلت زوجته إليجا مرة وهي تقول:

- لقد اتصلت مديرة معرض الفنون في موسكو.
- لماذا يا إليجا ؟
- تتساءل: متى سيكون معرضك الجديد ؟
- أي معرض ؟
- أنسيت يا " بوريس " أنك كنت تعد لوحات لمعرض جديد ؟
- نعم نسيت.

اقتربت الزوجة من زوجها، ولمست يديه بحنان وهي تقول:

- بوريس، أرجو ألا يكون مرض عينيك قد جعلك تيأس.

أمسك يديها وقال:

- لقد يأست بالفعل.

- يأست يا بوريس ؟ كيف وأنت الذي كنت تقول دائما: إن الحياة بلا أمل لا تساوي شيئا.

قال بوريس وهو يعود لجريدته:

- كنت أقول ذلك بالفعل عندما كانت حواسي كاملة، أما الآن فأهم ما لدى الفنان قد فقدته أنا وهو العينان، هل هناك فنان تشكيلي بلا عينين؟
- عموما، سنقوم بعمل المعرض، حتى تتحسن عيناك، واللوحات جاهزة.
- افعلي ما تشائين، ولكنني لن أحضر افتتاح المعرض.

قفزت دمعة من عيني زوجته وهي تقول:

- لن تحضر افتتاح المعرض ! لماذا ؟
- لأنه سيكون معرضي الأخير.

***

تم افتتاح معرض بوريس، وتسابقت الصحف في الإشادة بجمال لوحاته، وحينما حملت " إليجا" عدة صحف كي تريها لزوجها، قائلة:

- انظر يا زوجي الحبيب، ماذا تقول عنك الصحف ؟
- وماذا تقول ؟ سألها ببرود.
- إنها تصف لوحاتك بأنها رائعة وجميلة للغاية ومبتكرة.
- إذن، هي تمدح اللوحات، ولا تمدح صاحبها. والآن، أنا لن أنتج لوحات جديدة.

قالت الزوجة بحنان: أنت متشائم للغاية. اهدأ يا حبيبي.
تمتم بوريس بأسى: تلك هي الحقيقة المؤلمة أنني صرت ضعيف جدا في النظر، إنني لا أكاد أرى الأشياء القريبة، لقد خدعني الطبيب.
الزوجة: ماذا تقول ؟ ألم يقل لنا الطبيب أنك ستتحسن ؟

- ولكنني أسوءُ يوما بعد يوم.
- سنذهب له ثانية.

عندما دخل بوريسوإليجا إلى عيادة الطبيب، قال بوريس بانفعال شديد:

- لقد خدعتنا يا دكتور.

بهدوء أجاب الطبيب: ماذا حدث ؟

إنني لا أكاد أرى تقريبا.

قام الطبيب من مقعده واقترب منه:

- اسمعني يا بوريس، إننا أصدقاء منذ زمن بعيد، ولم أشأ أن أقول لك الحقيقة كاملة؟

قاطعه بوريس: وما هي الحقيقة الكاملة؟

- الحقيقة أنك مصاب بمرض اسمه تآكل القرنية، والطب لا يزال إلى الآن لم يتوصل لأي علاج لهذا المرض.

قام بوريس من مكانه مبهوتا: هل تقصد أنني سأفقد نظري إلى الأبد.

الطبيب: ربما يتوصل الأطباء إلى علاج جديد.

قام بوريس من مكانه هازئا: علاج؟! إنه العمى، هل عرفتِ يا إليجا، إنه العمى الكامل، لقد متُّ وأنا حيٌّ.

ثم راح يتحسس حوله، وهو يصرخ:

- أريد أن أخرج من هنا، لقد كرهتُ الحياة كلها.

أمسكت إليجا زوجها، وراحت تقوده خارجا، بينما الطبيب يرفع صوته:

- انتظرا، المسألة...

كانت الأيام التالية شديدة الألم على بوريس، لقد ازداد انعزالاً في غرفته، وخاصم الناس جميعا، ولم تفلح محاولات الزوجة المخلصة أن تخرجه من وحدته القاتلة. كان يقول لها دائما:

- الدنيا كلها سواد حولي، فماذا يفيد لو أنني تركت الغرفة أو البيت أو البلد كلها، لن أرى إلا السواد.

وكانت ترد عليه قائلة:

- إنك ترى الحياة بروح الرسام، عش كإنسان عادي.
- لا أستطيع، لأن الرسم في دمي، والحياة لوحة كبيرة أتأمل فيها كل يوم.

***

جاء الطبيب لزيارة مريضه، فقالت له " إليجا ":

- إنه لا يخرج من غرفته أبدا، إنني أخشى أن يحطم نفسه بيديه.
- وهذا هو السبب الذي أخفيت مرضه عنه.

ثم واصل حديثه:

- دعيني أقابله، ربما أفعل شيئا معه.

طرق الطبيب باب الغرفة، فسمع صوت بوريس وهو يقول:

- ادخلي يا إليجا، لماذا تطرقين الباب ؟

دخل الطبيب، وهو يقول ضاحكًا:

- لست إليجا، أنا صديقك القديم وطبيبك.

ابتسم بوريس بوهن، وهو يقول:

- لم يفلح طبك في علاجي.
- لماذا أنت يائس يا بوريس ؟
- سؤال عجيب، ولماذا يكون لدي أمل ؟
- إذا كنت فقدت حاسة من حواسك، إلا أن باقي حواسك لم تفقدها.

سخر بوريس منه قائلا:

- عجيب أمرك يا دكتور، ألا تعرف أن الحاسة الأساسية للرسام هي عيناه ؟
- نعم، ولكن ترسم بيديك وأنت لم تفقد يديك، ولديك عقلك الذي تفكر به وتتأمل، ولديك إحساسك الجميل.

هتف بوريس:

- ماذا تريد من هذا الكلام يا صديقي ؟
- أريد أن أجعلك تبحث عن أمل جديد في الحياة، وتستطيع أن تجد عشرات الهوايات التي تعمل بها، وإلا حكمت على نفسك بالموت.

صمت بوريس، كان كلام الطبيب به الكثير من التعقل.

***

راح بوريس يعيد كلام الطبيب على نفسه مرات ومرات، وهو يفكر، وبعد أيام قال لزوجته مبتسما: لقد قررت أن أقوم بعمل جديد ؟

الزوجة بفرح: صحيح يا بوريس، عمل جديد، ما هو هل ستملي مقالاتك عليّ أو تريدني أقرأ لك؟

بوريس: لا أريدك أن تعدي لي مرسمي، وضعي خاصة باليت الألوان ولوحة قماشية سأبدأ في الرسم.

تعجبت الزوجة: ترسم وأنت... كيف ؟

بوريس: وأنا أعمى، إذا كنت فقدت بصري فأنا لم أفقد يدي، إن يدي بهما الكثير من الخبرة في التلوين والرسم، ولا زلت أحتفظ بكثير من المشاهد الطبيعية الجميلة في نفسي، ولم تغادر مخيلتي.

الزوجة: ولكن كيف ستتعرف على الألوان ؟

- المسألة بسيطة، عن طريقك، أنسيت أنك كنت تساعدينني من قبل. هيا يا زوجتي العزيزة.

أسرعت الزوجة غير مصدقة، وأعدت المرسم، ثم قالت:

- اللوحة جاهزة يا بوريس.

نهض بوريس من مكانه، وراح يتحسس اللوحة، ثم أمسك بالقلم الرصاص من يد زوجته، وراح يخطط على القماش بهدوء ولكن بخبرة عالية، وهو يقول:

- إليجا ساعديني، هل هذا الخط مناسب ؟

فتجيبه: أجل، كأنك ترسم في الماضي.

ظل بوريس يرسم متخيلاً الأبعاد، والزوجة توجهه، وهو يضحك ثم قال:

- الآن نستريح، وبعد قليل نبدأ في التلوين.

***

عقب ساعتين من الراحة، عاد بوريس إلى مرسمه ومعه زوجته، قال:

- ماذا رسمت يا إليجا ؟
- إنك رسمت أشجارا ونهرا وسماء.
- إذن أعدي لي على الباليت ألوان الأخضر والبني والأزرق والأصفر، وابدئي في وضع كل لون في مكانه كما سأقول لك.

أعدت الزوجة ما طلب، حيث راح يوجهها بقوله:

- لجذع الشجرة هاتي اللون البني، ثم قرّبي يدي من الجذع، وسأقوم بالتلوين.

وراح يلون الجذع بدقة والزوجة تراقبه بحيرة، كانت أنامله تلون بخفة، وتارة يسألها عن المسافة وهي تجيبه.

***

مرت أيام وأسابيع، وحينما جاء الطبيب لزيارته، اصطحبه بوريس إلى مرسمه وهو يقول:

- لك كل الشكر يا صديقي الطبيب.
- على ماذا ؟
- لأنك ساعدتني على العودة من جديد.

الطبيب: أنت صديقي، وذو موهبة كبيرة في الرسم، وإن ما فعلته يعتبر معجزة كبيرة.

بوريس بفرح: لقد قررت أن أقوم بعمل معرض بعد أشهر.

- بهذه السرعة ؟!
- نعم، فإنني أنجزت لوحات متعددة، وقد زارني بعض النقاد والصحفيين وأبدوا إعجابهم الكبير، واعتبروا أن ما أنجزته يتمم مسيرتي الفنية الماضية.

قال الطبيب متأملاً اللوحات:

- بالفعل، إن أرى في لوحاتك الكثير من الإبداع، وكأنك صرت أكثر خبرة من صورك السابقة.
- نعم، لأنني الآن، أتأمل كثيرا ما اختزنته في أعماقي من مشاهد، ورحت أسترجعه كلما خلوت بنفسي.

شد الطبيب على يد بوريس وهو يقول:

- دعني أقول لك: إنك دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، لقد صنعت معجزة حقيقية.

# دبشليم وبيدبا في عصر الحاسوب

لم يصدق الملك " دبشليم" ما رآه بعينيه، بعدما طاف أرجاء الأرض في حياتنا المعاصرة، وعاين أحوال الناس، وتغيرات الحياة، فقرر من ساعته إحضار صديقه "بيدبا" الفيلسوف والحكيم، وهو يعلم أن بيدبا قد تجول في الأرض مثله، وسافر بين البلدان، وعايش الناس عن كثب، متعجبا مما رآه من تغيرات الحياة؛ فالأبنية شاهقة، والشوارع واسعة، والمخترعات يحملها الإنسان معه أينما ذهب، فضلا عن امتلاء البيوت بالأجهزة، فغمغم دبشليم قائلا: "شتان بين حياتنا في الماضي، منذ أكثر من ستة عشر قرنا من الزمان".

وكان كل من دبشليم وبيدبا قد تعلّما لغة أهل العصر، وعاشا معهم، وإن افترق دبشليم عن بيدبا في أحايين كثيرة، فكل منهما يدب في الأرض كيفما شاء.

إلا أن دبشليم لا يزال يتعامل مع بيدبا على أنه ملك متوّج، وإن كان بلا عرش، حيث يرى دبشليم أن المُلك صفة تظل أبد الدهر معه، وعلى بيدبا الفيلسوف طاعته، وأن يحضر فور استدعاء الملك له، وهو ما حدث بالفعل.

ذات نهار، وقد فرغ الملك من إفطاره الصباحي عند الضحى، أمسك بهاتفه النقال، وحرّك أزراره، فجاءه صوت بيدبا الفيلسوف على الفور، بنفس الصوت الخفيض، الذي يحمل آثار السنين في نبراته، وهو يرد بأدب:

- أهلا بك، مولاي الملك، خادمك بيدبا رهن إشارتك.
- أين أنت الآن أيها الفيلسوف؟
- في بيتي، أمام جهاز الحاسوب، أقلب في مواقعه.
- حسنا يا بيدبا، هلمَّ إليّ، بجهاز حاسوبك.
- سمعا وطاعة يا مولاي.

***

كان الملك مضطجعا، عندما ولج الغرفة عليه بيدبا، وفي يده اليمنى حقيبة حاسوبه الشخصي، أما يسراه فممسكة بهاتفه النقّال، فيما كانت ملابسه مؤلفة من قميص أصفر اللون، وبنطال بنيّ. ابتسم الملك لهيئة فيلسوفه العصرية، بينما هو لا يزال متمسكا بملابسه الملكية، بألوانها الزاهية: اللون السماويّ في عباءته، وعليه وشاح أبيض، وثمة شيء يشبه التاج على رأسه.

هتف الملك مخاطبا بيدبا:

- أراك قد انغمست في عالم اليوم، ونسيت كتبك التي كنت تئنُّ من حملها قديما.

أجاب بيدبا بأدب عظيم، مشيرا إلى حاسوبه:

- إنني أحمل تراث البشرية كلها من كتب وعلوم في هذا الجهاز المعدني الصغير، ولو كنا في عصرنا لاحتجت إلى مدينة كبيرة، لأملأها بالكتب.

سكت هنيهة بيدبا، ثم أردف:

- كم أغبط بني البشر الآن، فقد امتلكوا العلوم والفنون، وهم جالسون على الآرائك في بيوتهم، وما عليهم إلا أن يقرأوا، متى رغبوا، وفيما أرادوا، فكل شيء متوافر بين أيديهم في أجهزتهم.

أطرق دبشليم مفكرا، ثم تمتم:

- ولكنني حاورت بعضهم، خاصة من فئة الشباب، وقد أسفتُ من أحوالهم.
- وما سبب أسفكم يا مولاي؟
- رأيتهم جاهلين بأشياء، كنا نعدها في عصرنا من المسلمات المعروفة.

سكت بيدبا، ولم يشأ الاستفسار، فقد شعر أن الملك في جعبته بعض الكلام، كيف لا، وبيدبا خبير بأحوال الملك النفسية. يدرك بيدبا جيدا متى يتكلم فينصت له الملك، ومتى يسأل الملك إذا أراد مزيدا من الإيضاح، ومتى يجيب عن سؤال طرحه الملك.
أردف دبشليم، وهو يخرج كلماته ببطء، وكأنه يزنها قبل أن تتحرك شفتاه بها:

- رأيتهم لا يعرفون عناصر الطبيعة عن قرب، يكتفون بما درسوا في مدارسهم ومعاهدهم من علوم وإن كانت قليلة، كما أنهم لا يميزون بين أحوال البشر، ولا عاداتهم، ولا يعرفون من علوم الأوائل السابقين، من أهل الحضارات القديمة إلا شذرات قليلة، فعجبت من حال البشر اليوم، يتقدمون في مخترعاتهم، ويتقهقرون في معارفهم.. ولا أعلم هل أنا محق فيما رأيت منهم؟ أما أنا متجنٍ عليهم؟

رفع بيدبا عينيه المطرقتين أرضا، بعد إنصاته لما تفوه به الملك، وقال له:

- مولاي ما رأيتَه هو صحيح، وهو يصدق على البعض منهم، وليس الكل، لقد حفظ بنو الإنسان اليوم العلوم في أجهزة صغيرة، وظنوا أنهم ما داموا قد امتلكوا الكتب، فإن المعرفة تكون طيعة بين أيديهم، متى أرادوها، بحثوا عنها، فلماذا يتعبون أنفسهم في القراءة والحفظ؟ ولكن منهم العلماء الذين دأبوا على طلب العلم.

ابتسم دبشليم، وهو يهتف:

- إذن، أخبرني يا بيدبا عن أسباب ما رصدته من أحوال القوم اليوم.

أجاب بيدبا، وهو يقول:

- لقد تذكرت قصة[٢] من زماننا الماضي، حينما تحدّى الثعلب جموع الحيوانات في الغابة، وقال لهم إنني تعلّمت بعض علوم بني الإنسان، ومستعد أن أعلمها لكم بشرطين اثنين. فسألته الحيوانات: وما هذان الشرطان أيها الثعلب؟ أجاب الثعلب: إذا أعطيتموني سؤالكم اليوم، فسآتيكم بالإجابة غدا. فتعجب أهل الغابة، غير مدركين سبب مقولة الثعلب. ثم سألوه عن الشرط الثاني، فأجاب: تأتون لي بطعام كل يوم، من طيب اللحم، مما تصطادونه من خراف أو غزلان أو طيور.

ابتسم دبشليم، وسأل بيدبا بلهفة:

- وكيف تعلم الثعلب يا بيدبا؟
- مولاي، لقد تنكّر الثعلب في ثياب البشر، وتعلّم بعض لغاتهم، بل إنه كان يغدو إلى بعض معلمي الصبيان، في القرى القريبة من الغابة، فيقف عند نافذة الفصل، ينظر لما يخطه المعلم على السبورة، واستطاع تعلم القراءة والكتابة، ثم

٢) أحداث هذه القصة متخيلة من قبل المؤلف، وليست مذكورة في كتاب كليلة ودمنة.

غدا إلى كبير حكماء القرية، فرأى عنده كتبا كثيرة، ورآه يجلس يقرأ منها، ويجيب عن أسئلة الناس، فقرر أن يحملها إلى بيته "الوجار"، وهو كهف كبير، في قمة أحد تلال الغابة. وبالفعل، خلع الثعلب ثياب البشر، وراح ينبح بشدة في أهل القرية، ففروا خوفا منه، ومعهم الحكيم، فدخل الثعلب بيت الحكيم، وراح ينقل الكتب منه، حتى أخذها كلها إلى "وجاره"، وعاونه في حملها بعض الثعالب، على وعد أن ينالوا طعاما كثيرا.

سكت بيدبا، وتطلع إلى دبشليم، الذي كان مطرقا، ناظرا إلى الأرض، يفكر في الرابط بين قصة الثعلب قديما، وبني البشر حديثا، ولكنه آثر أن يسمع الحكاية إلى نهايتها، لعل في آخرها ما يكشف عن سبب أوّلها.

- أكمل يا بيدبا.
- ونجحت حيلة الثعلب، وأقبلت عليه الحيوانات، تسأله فيأتي في الجواب في اليوم التالي، أو تنتظر أن يقصّ عليها مما قرأه في الكتب، حيث يجلس على قمة التل، والحيوانات أسفله، أما الطعام فيصعد إليه دون أدنى عناء منه، فيأكل هو أولا، ثم يطعم بقية الثعالب معه.
- ما أشدَّ خبث الثعلب يا بيدبا!
- نعم يا مولاي، ولكن الثعلب سرعان ما سقط، وانكشفت حيلته.
- وكيف كان ذلك يا بيدبا؟
- إنه القرد يا مولاي، لقد تسلل ذات مرة، وتسلق إلى حيث "وجار" الثعلب، وشاهد الكتب المخزنة، وكيف أن الثعلب يقلب فيها، حتى يحصل على الإجابة عن الأسئلة التي تلقيها عليه الحيوانات.

ضحك دبشليم عاليا، وقال:

- ما دام وقع الثعلب مع القرد، فحتمًا سيفوز القرد.

- صدقت يا مولاي، فإن القرد من أذكى الحيوانات.
- إذن، واصل حكايتك، لنعرف ما فعل القرد بكتب الثعلب.

وضع بيدبا حاسوبه على طاولة بجانبه، وقال:

- لقد رأى القرد كيف أن الحيوانات تأتي بأطيب اللحم إلى الثعلب، وتصطاد له الطيور والأرانب والغزلان من الغابة، ففكر، ثم حضر مجلس الثعلب في اليوم التالي، حيث كان الثعلب يجيب عن سؤال لملك الغابة وهو الأسد. يجيب وهو يأكل اللحم بتلذذ، والحيوانات في شوق لما يقول. انتظر القرد حتى فرِغ الثعلب من طعامه، ومن جوابه، ثم قفز قائلا: أيها الحكيم الثعلب، عندي سؤال إن أجبت عليه، فستكون جائزتك عظيمة، مما تختاره من اللحم. قال الثعلب بثقة: وما هو السؤال أيها القرد؟ قال القرد: قبل أن أطرح السؤال أشترط عليك شرطا. سأل الثعلب: وما هو الشرط؟

أجاب القرد: إن أتيت بالإجابة فإن اللحم سيأتيك لمدة ثلاثة أيام متوالية، وإن لم تجب، فإن الحيوانات ستؤكلك أنت. فكّر الثعلب، ثم قال بمكر: حسنا، أسمع السؤال أولا، ثم أرد عليك. فقال القرد: السؤال هو: ما اللحوم المسمومة التي إن أكلها بنو الإنسان قتلتهم، وإن أكلتها حيوانات الغابة أحيتهم ؟ ضحك الثعلب، فحتما سيجد إجابة هذا السؤال في أحد الكتب التي عنده، عن أطعمة بني البشر. فقال من ساعته: أوافق على سؤالك. سأله القرد: وهل توافق على شرطي؟ قال الثعلب: نعم أوافق على شرطك. قال القرد: إذن موعدنا غدا أيها الثعلب.

توقف بيدبا عن الكلام، حتى يلتقط أنفاسه، فيما نظر إليه الملك دبشليم نظرة عتاب لأنه سكت في موضع من القصة يتطلب الإكمال، ففهم بيدبا غاية دبشليم، فأكمل:

- ثم إن القرد يا مولاي، جمع أصدقاءه في الغابة، فنادى على الفأرة زعيمة الفئران، وعلى الببغاء زعيمة الببغاوات، وصعد بهما إلى أعلى شجرة في الغابة، وكان الوقت

بعد العصر بساعة، أي قبيل المغرب، ثم همس لهم بما رأى، وبما عزم، ووضع خطة، كلّف فيها كل واحد بعمل.

- علام اتفقوا يا بيدبا؟
- مع دخول الليل، تسلل القرد إلى تل الثعلب، ووقف خلف "وجاره"، وما فيه من كتب كثيرة، ثم إن الببغاء طار ومعه ببغاوات كثيرة أعلى الثعالب، يقلدون نباح الثعالب، فضحكت الثعالب، وراحت تصدر أصواتا وتزيد من نباحها، والببغاوات تتنافس في تقليدها، والثعالب في حبور وسعادة، وقد شاركهم الثعلب القارئ، تاركا كتبه، فيما تسللت الفأرة، وتبعتها فئران كثيرة، وهجمت على الكتب تقرضها، وتمزق أوراقها، وما إن اشتدت ظلمة الليل، حتى كانت الفئران قد أكملت قرضها للكتب، وكانت الببغاوات تطير عائدة إلى أعشاشها.

صرخ الملك بأعلى صوته:

- يا لها من خطة جهنمية، لاشك أنه في اليوم التالي، لم يجد الثعلب كتبا، وعرف أنه سيكون طعاما لحيوانات الغابة كلها.
- بالفعل يا مولاي، بات الثعلب والثعالب معه ليلتهم، وقد ضاق الوقت بالثعلب القارئ أن يقرأ الإجابة عن سؤال القرد، فأجل بحثه في الكتب إلى اليوم التالي، وما إن استيقظ حتى وجد كتبه مقروضة، متناثرة، فأدرك ما حدث، وهو مكار، وعلم أن هناك خدعة انطلت عليه، مع جموع الثعالب. ففكر سريعا، وعزم على الفرار، وما إن نزل من التل، حتى وجد الحيوانات جميعها في انتظاره، فقد طاف عليهم القرد مع شروق الشمس، ومعه الببغاوات والفئران، وأخبروهم بما حدث، ودعوهم إلى وجبة لذيذة على لحوم الثعالب.

تنهّد دبشليم، وهو يقول:

- بالفعل، الخبيث المكّار حتما سينكشف.

ضحك بيدبا، وهو يقول:

- مولاي، يظل "العلم في الراس، وليس في الكراس".
- وما فائدة الكراس والكتاب إذن يا بيدبا؟
- ما الكتب إلا أوعية لحفظ العلوم.
- وماذا عن الحاسوب؟
- إنه وعاء أيضا لحفظ العلوم، أما العقول فعليها أن تقرأ وتعي، لا أن تخزّن الكتب، وتظن أن المعلومة يحملها الكتاب، ولا داعي لأن يتعب العقل في حملها.

❊❊❊

# المُتسابقونَ للفِرْدَوس

فتحت "أروى" نافذة المطبخ، لتضع حفنة متنوعة من الحبوب في طبق ثبتته على إفريز النافذة، كما أضافت المزيد من الماء في إناء آخر مجاور للطبق، ومن ثم أغلقت النافذة.
دقائق، وسرعان ما كانت حمامة ترفرف بأجنحتها خارج النافذة، وهديلُها الشجي يُسمَعُ، فابتسمت أروى، وآثرت الابتعاد قليلا على الرغم من حالة الألفة التي باتت تجمعها مع هذه الحمامة، فقد لمحت زغلولين صغيرين؛ جاءا في معية أمهما، ويبدو أن الأم قد شرعت في تدريبهما على الطيران، بعدما نبت ريشهما، وزيّن أجنحتهما. ما أروع اللحظة! فالزغلولان الصغيران يجاهدان لالتقاط الحبّ، وأمهما تساعدهما.

- لماذا أنت متسمرة في مكانِكِ يا أروى؟

وضعت أروى إصبعها على شفتيها، وهي تشير إلى النافذة؛ كي تسكت أختها آلاء، التي دخلت المطبخ لتريَ أختها صغار الحمام وأمهما تطعمهما تارة أو تتركهما ليلتقطا الحبّ أو ليرتشفا قطرات من الماء تارة أخرى.
تطلعت آلاء سريعا إلى النافذة، وكعادتها فقد أخرجت هاتفها النقال، لتصوّر المشهد، وأروى تحاول منعها من التصوير، خشية أن تفزع الحمام، ولكن آلاء، تملّصت منها، وراحت تصور مقطعا مرئيا، مصحوبا بصوت الهديل.

- ماذا ستفعلين بهذا المقطع؟

هكذا تساءلت أروى متعجبة، فقد اعتادت إطعام هذه الحمامة بشكل يومي، بل إن نافذتها صارت تجمّعًا للحمام، الذي قد يأتي فرادى أو في سرب صغير، طوال اليوم، لتناول الحب وشرب الماء. لم تجب آلاء، فقد انشغلت بإرسال المقطع إلى مجموعة العائلة على برنامج "واتس آب"، ثم قالت: المنظر محمّل بألف دلالة وإشارة.

***

عندما حلّ المساء، كانت الشقيقتان تقرآن التعليقات المادحة، والتي راحت تترى من أقاربهما، فآلاء بارعة في التصوير بكاميرا هاتفها، والمقطع مفعم بأمومة الحمامة الجياشة مع براءة الزغلولين، اللذين يدبّان بسعيهما الأوليّ في الحياة.

جاءت المفاجأة للأختين من أخيهما الأصغر "هيثم"، وقد أعاد بثّ المقطع مع عمل مونتاج بشجن موسيقيّ ممتزجا بالهديل، ومصحوبا بمؤثرات ضوئية، وكتب في المجموعة العائلية معلقا:

- لقد نشرت هذا المقطع في الفيس بوك وتويتر، وحصد مئات التعليقات والإعجاب وإعادة النشر.

نادت أروى أخاها، الذي حضر سريعا من غرفته، ليبادرها قائلا:

- أعرف ما ستقولين، ولكنني أفكر طوال اليوم في فكرة.

تساءلت الأختان في صوت واحد: وما هي أيها العبقري؟

جلس هيثم وسط شقيقتيه، وهو يقول:

- لقد تفاعل الكثيرون مع هذا المقطع، وراحوا يدعون بالخير لمن يطعم الحمام، وقالوا إن إطعام الحمام فكرة بديعة، وإن لم نكن نربيه.

تطلعت آلاء إليه متفكرة، ثم هتفت: وما فكرتك إذن؟

وقف هيثم في منتصف الصالة، وكأنه يخطب فيهما، وقال: ما رأيكما نقوم بعمل تطبيق يتم تنزيله على الهاتف النقال والحواسيب اللوحية؟

بان الاستغراب على وجه الأختين، وهمهمتا:

- كيف هذا؟

ابتسم هيثم، وقال:

- أنا بفضل الله بارع في البرمجة، وسأقوم بعمل التطبيق، وفكرته ببساطة، أننا ننشر كل عمل جديد ومبتكر لفعل الخير، حتى يستفيد منه الناس، فهناك أعمال خير كثيرة، لا تجد من يعرّف بها. ما رأيكما؟

طأطأت البنتان رأسيهما، وعلّقت آلاء متسائلة: فكرة ممتازة، ولكن ما دورنا إذن؟
أجاب هيثم بحماسة:

- أولا نبحث عن اسم للتطبيق، وثانيا: نتفق على كيفية إدارة التطبيق، يعني المقاطع والصور التي نسمح بنشرها أو لا نسمح، حتى لا يعطلنا عن المذاكرة.

ساد الصمت بينهم، قطعته أروى بقولها: أقترح أن نسمي التطبيق: انشر الخير، أو كن مبادرا للخير.
هتفت آلاء مؤيدة للفكرة:

- نسميه اسما جديدا، ما رأيكما أن نسميه: المتسابقون للجنات؟ لأن أعمال الخير هدفها الفوز بالثواب الذي يقودنا إلى الجنة.

أثنت أروى على المقترح وقالت:

- جميل، والأجمل أن نسميه المتسابقون للفردوس، لأن الفردوس الأعلى هو أمل كل مسلم صالح، فاعل للخير.

قال هيثم وهو يتجه إلى غرفته:

- الآن سيأتي دوري، وسأعكف على عمل التطبيق، وسيكون أول مقطع ننشره هو مقطعك عن الحمام يا أروى.
- ونحن في انتظارك أيها العبقري.

***

أشجار وزهور وثمار وأنهار كانت هي صورة الأيقونة التي حملها تطبيق "المتسابقون للفردوس"، والذي صار حديث مواقع التواصل الاجتماعي، وراح المتابعون والمغرّدون يرددون شعار وهو الحديث الشريف:" الدال على الخير كفاعله"، وكم كانت المفاجأة، للأشقاء الثلاثة وهم يجتمعون مساء كل يوم أن المتجاوبين معهم كثيرون، والأكثر هؤلاء الذين يسجلون تعليقات بديعة، تشمل آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وهم يرون أفكارا مدهشة تأتي لهم. وها هو هيثم وبعد أسابيع من انتشار التطبيق، يجلس بين أختيه، وهم يستعرضون ما ورد إليهم من صور ومقاطع، وقد تسارعت كلماتهم التي جعلت أصواتهم مرتفعة نوعًا ما، وهم يفاضلون بين ما يشاهدون:

آلاء تقول بحماسة: انظرا، ما أروع هذه الفكرة! صورة واحدة مركَّبة، وهي ملصقات أنيقة وصغيرة عند إشارات المرور، ومكتوب عليها عبارات متعددة: "أشغل دقائق الانتظار بالاستغفار"، و" وألا بذكر الله تطمئن القلوب".

عقّب هيثم:

- هناك أفكار كثيرة على نفس الشاكلة، منها صور لترشيد المياه وأوراق التنشيف في دورات المياه بالمساجد، وإرشادات لتساوي الصفوف في الصلاة.

أما أروى فقد توقفت عند مقطع مرئي، وطلبت إبطاء تشغيله، وهي تقول:

- فكرته بسيطة، وهي أن نطلب من كل طفل أن يغرس شجرة أمام بيته أو في شارعه أو حيّه، ويتعهدها بالرعاية والسقي، فتكبر معه، وتكون مجلبة للظلال والثمار.

فتح هيثم مقطعا آخر، ودعاهما للمشاهدة، حيث كان لرجل يأتي إلى المستشفيات ويسأل الممرضين عن المرضى الفقراء والذين لا أقارب لهم، فيجلس معهم يضاحكهم، ويطعمهم،

ويقدم لهم الهدايا، والغريب أنه كان يحرص على أن يعرف كل شيء عن المريض، فيناديه باسمه، ويحدثه عن أحواله وعمله، وكأنه يعرفه من زمان.

قالت آلاء، ناظرة لأختها أروى، وهي تتأمل مقطعا متحركا:

- هذه سيدة تنثر الحبّ للطيور في الحدائق والساحات، وتملأ آنية بالماء، وهي تقول إنها تفعل هذا في أيام الجدب والجفاف.

ابتسمت أروى، وقالت:

- نفس ما أقوم به، ولكن قد وسّعت هذه السيدة دائرة خيرها.

تطلع هيثم للوقت، كانا قد أمضوا أكثر من ساعة في عملهم، فقال:

- إليكما المقطع الأخير قبل أن ننام، وقد أحسن صنّاعُه تصويرَه.

فشاهد الثلاثة شبابا متطوعين، يقفون أمام المصالح الحكومية، ينتظرون كبار السن والمعاقين، ليساعدوهم في تخليص معاملاتهم، ويساعدهم الموظفون في ذلك.

علقت آلاء متعجبة:

- الغريب أن كل مَن أرسل مقطعا أو صورة، لم يضع اسمه أو يبرز وجهه.

تمتمت أروى:

- الكل حالم بالفردوس، ملتمس للمثوبة.

بعد مرور شهر آخر، وفي ختام جلستهم المسائية، قال هيثم:

- هناك متبرعون يراسلونني لشراء التطبيق، من أجل تطويره، ووعدوني بمبلغ مالي كبير، أو على الأقل تقديم مساهمات مالية لنا، فما رأيكما؟

صمتت الشقيقتان، فقد تفاجأتا بالعرض، ولكن أروى هتفت بحزم:

- لقد ابتغينا الأجر والجنة، ولا نريد مالا ولا تجارة.

فأكدت آلاء كلامها بانحناءة من رأسها:

- وهم يمكنهم أن يفعلوا تطبيقات أخرى مثلنا، فيساهموا معنا في إبراز مكامن الخير عند الناس.

ابتسم هيثم، قائلا:

- وهكذا قلت لهم.

❊❊❊

# سيرة ذاتية للمؤلف

**الاسم : أ. د. مصطفى عطية جمعة**

**أستاذ الأدب العربي والنقد الأدبي والفنون**

**وباحث في الإسلاميات والحضارة، وقاص وروائي ومسرحي.**

**الإيميل** : mostafa_ateia123@yahoo.com

mostafaateia@gmail.com


## الأعمال المنشورة:

### أولا: الدراسات الأدبية والنقدية :

١) دلالة الزمن في السرد الروائي، نقد، جائزة النقد الأدبي، الشارقة، ٢٠٠١.

٢) أشكال السرد في القرن الرابع الهجري، نقد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦

٣) ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠، وكالة الصحافة العربية، القاهرة،ط٢، ٢٠٢٣.

٤) الرؤية والأداة: في جماليات المكان والزمان والتأويل، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، وصدرت طبعته الأولى بعنوان اللحمة والسداة، نقد أدبي، سندباد للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

٥) شعرية الفضاء الإلكتروني في ضوء ما بعد الحداثة، نقد أدبي، دار شمس، القاهرة، ٢٠١٦.

٦) الظلال والأصداء، نقد أدبي، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥م

٧) الوعي والسرد، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٦م.

٨) السرد في التراث العربي (رؤية معرفية جمالية)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٧م، ووكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣.

٩) القرن المحلق (الرواية الإفريقية وأدب ما بعد الاستعمار)، منشورات جائزة الطيب صالح العالمية، الخرطوم، ٢٠١٧م، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، (ط٢)، ٢٠٢٣.

١٠) عضو فريق التأليف في كتاب: التأريخ واشتغال الذاكرة في الرواية العربية، ببحث عنوانه: تمثيل التاريخ العربي وإشكالات التأريخ في الرواية التاريخية، منشورات كتارا للرواية العربية، قطر، العام ٢٠١٩م.

١١) التحيز في المسرح العربي: قراءة في الجذور والنشأة والنصوص والتجارب، في كتاب محكم جماعي بالاشتراك: تلغيم الفن: المسرح بوصفه ساحة للتحيزات، منشورات دار نور حوران، دمشق، سورية، إبريل ٢٠١٩م.

١٢) الفصحى والعامية والإبداع الشعبي، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٣) أصداء ما بعد الحداثة: في الشعرية والفن والتاريخ، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٤) شرنقة التحيز الفكري: أنماط وتجليات ودراسات، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٥) البنية والأسلوب: دراسات نقدية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٢٠

١٦) المعجمية العربية: قراءة حضارية في ضوء الأنثروبوجيا الثقافية، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

**ثانيا: الإسلاميات والحضارة:**

١٧) هيكل سليمان (المسجد الأقصى وأكذوبة الهيكل)، ط١، دار الفاروق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م. ووكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣.

١٨) فلسفة الرحمة في شخصية الرسول (ص)، ط٢، وكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، وصدرت الطبعة الأولى بعنوان: الرحمة المهداة، خلق الرحمة في شخصية الرسول (ص)، إسلاميات، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠١١ م،

١٩) الحوار في السيرة النبوية، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥م

٢٠) الإسلام والتنمية المستدامة، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٦م.

٢١) منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إدارة الأزمات، إسلاميات، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٨م.

٢٢) وسطية الإسلام في حياتنا الفكرية: قضايا التجديد والثقافة والمعاصرة، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٢٠.

٢٣) الحكم الراشد: رؤية إسلامية حضارية، دار شمس للنشر والمعلومات، إسلاميات، القاهرة، ٢٠٢٠.

٢٤) صورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الوجدان الغربي: أبعاد التجني، براهين التفنيد، الكتاب الفائز بالجائزة الأولى في المسابقة الدولية بمنصة أريد البحثية الدولية ARID Platform، ماليزيا، ديسمبر ٢٠٢٠.

٢٥) المثاقفة والتواصل: حوار الذات وحوار الحضارات، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٢.

٢٦) الطفولة والهوية والتغريب: إشكاليات النسوية والجندرية، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٢.

٢٧) أسئلة الحضارة والنهضة: إضاءة على الفكر التنويري والحداثة الإسلامية، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣.

٢٨) التطبيع الصهيوني العربي شفرات الخداع والتدليس، منشورات مركز الشرق للأبحاث والثقافة (ECR)، ٢٠٢٣.

## ثالثا: الإبداعات الأدبية:

٢٩) وجوه للحياة، مجموعة قصصية، نصوص ٩٠، القاهرة، ١٩٩٧م

٣٠) نثيرات الذاكرة، الجائزة الأولى في الرواية، دار سعاد الصباح، القاهرة / الكويت، ١٩٩٩م.

٣١) شرنقة الحلم الأصفر، رواية، جائزة الرواية عن نادي القصة، بالقاهرة، ٢٠٠٢، نشر: مركز الحضارة العربية،٢٠٠٣م.

٣٢) طفح القيح، مجموعة قصصية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٣) أمطار رمادية، مسرحية، مركز الحضارة العربية بالقاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٤) نتوءات قوس قزح، رواية، سندباد للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

٣٥) مقيم شعائر النظام، مسرحيات، دار الأدهم للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣٦) قطر الندى، مجموعة قصصية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٣م.

٣٧) على متن محطة فضائية، رواية للأطفال، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ٢٠١٢م.

٣٨) سفينة العطش، مسرحية للأطفال، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ٢٠١٢م.

٣٩) أصدقاء في عالم الفضاء، رواية للفتيان، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، ط٢، وصدرت الطبعة الأولى بعنوان: رواد فضاء الغد، أطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، ٢٠١٤م.

٤٠) لكل جواب قصة، مسرحيات للأطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، ٢٠١٤م.

٤١) سوق الكلام، مسرحيات، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٧م.

٤٢) حدث مألوف، قصص قصيرة جدا، دار شمس للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٣) جزيرة الفئران، مسرحيات للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٤) الحسن بن علي، رواية للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٥) البرتقالة في الزجاجة، مجموعة قصصية للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٦) صندوق الألعاب، مجموعة قصصية للأطفال، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

# الفهرس


حفنةُ قمحٍ ..... ٥

الحصان والبئر ..... ١٠

الصوت والصدى ..... ١٥

الجدار والسقف ..... ٢٧

كؤوس الحياة ..... ٣٥

عندما تعصف الرياح ..... ٣٩

البرتقالة في الزجاجة ..... ٤٣

اللوحة مكتملة ..... ٤٨

فرشاة في الظلام ..... ٥٥

دبشليم وبيدبا في عصر الحاسوب ..... ٦٤

المُتسابقونَ للفِرْدَوس ..... ٧٢

سيرة ذاتية للمؤلف ..... ٧٩

الفهرس ..... ٨٥


❊❊❊

# البرتقالة في الزجاجة

عندما تقرأ قصص هذه المجموعة ستعرف كيف دخلت البرتقالة في الزجاجة، وستعرف رد الشيخ على أمٍ مات ابنها، وطلبت منه أن يحييه وإلا ستقتل نفسها، ولن تستغرب عندما تقرأ عن رسام فقد بصره، واستطاع أن يرسم لوحات أدهشت العالم، وستدرك قصصا عجيبة عن فاعلي الخير في حياتنا، وكيف يتسابقون لنيل الحسنات، وستتفاجأ بأن الفيلسوف بيدبا والملك دبشليم، قد عادا إلى حياتنا، وعاشا في عصر الإنترنت، وتعجبا من حياة الناس.

متون المثقف للنشر والتوزيع
Mutun alMuthaif for publication and distribution